بناء الخطاب المقدماتي

كتب الغريبين نموذجا

دكتور
ياسر عبدالحسيب رضوان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

دكتور
ياسر عبد الحسيب رضوان

بناء الخطاب المقدماتي
كُتُبُ الغريبَيْن
نموذجًا

الإهداء

أبي : الدكتور عبد الحسيب رضوان

أستاذ الفقه وعلومه بجامعتَيْ الإمام محمد بن سعود والأزهر الشريف .

أمي

إخوتي

أبنائي

وفي الوسط من القلب

هَنَا

أول الأحفاد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه وتعالى ، ونستعين به ، ونعوذ به من سيئات أعمالنا وشرور أنفسنا ، ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق فسوى ، وقدّر فهدى ، ورزق الإنسان من العلم ما يقيم به حياته ، ويُسلكه الصراط المستقيم الذي ينال به مرضاة الله تبارك وتعالى ، ونشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا صلى الله عليه وسلم النعمة المهداة ، الرسول الخاتم الذي آتاه الله تعالى العلم والحكمة ، فأداهما إلى أُمّته خير أداء ، فجزاه الله تعالى خير ما جازى نبيًّا عن أمته ، ورسولاً بخير الأداء أدى رسالته .

فاللهمّ ربنا نسألك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيتَ به أجبتَ ، وإذا سُئلتَ به أعطيتَ ، أن تصلي وتسلم وتبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ، وتصلي وتسلم وتبارك يا ربنا على جميع الملائكة والأنبياء والمرسلين بعدد ما مشينا ومشي خلق الله من خطًى إلى يوم الدين ، صلاةً لا ينقطع خيرها عنا ولا عن ذوينا ، وأهلينا حيهم وميتهم وكل من له حق علينا إلى يوم الدين .

أمَّا بعدُ .....

فقد ارتبط الخطاب المقدماتي في التراث العربي بالاستهلال وحُسن المطلع ، والتصدير والافتتاح والخطبة ، والابتداء وهو أحد المواضع الثلاثة التي ارتضى البلاغيون القدامى للأدباء أن يتأنقوا ويتجملوا فيها ؛ وذلك حيث " يكون مطلع الكلام أنيقًا بديعًا ؛ لأنه أول ما يقرع السمع ، فيُقبِل السامع على الكلام ويعيه ، وإنْ كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه ، وإنْ كان في غاية الحُسْن " (١) ومن ثمة كان من بين اهتمامات الخطاب المقدماتي في التراث العربي التأكيد على " المجال الدلالي للنص ومستوييْ

---

١ – د/ أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٩٨٣م – ١/٣٠– ٣١ .

إنتاجه وتلقيه " ([1]) وهو ما يتماس بصورة أو بأخرى مع التناول المعاصر لخطاب المقدمة .

والمتتبع للخطاب المقدماتي في التراث العربي – على اختلاف المجال المعرفي – يقف على مجموعة من العناصر القارَّة في كل خطاب منها وهي : الاستهلال والموضوع واسم الكتاب وسبب التأليف فيه ، والدراسات السابقة ، واسم المؤلف ، ثم خاتمة المقدمة ، على تفاوتٍ في ترتيب هذه العناصر من مؤلَّفٍ إلى آخر ، ودون قصدية ملحوظة يتم معها الْتزام ذلك الترتيب دوزن سواه ، وقد اتسم كل عنصر من هذه العناصر بسمات وملامح خاصة ، بدا فيها التأثر الواضح بالثقافة الإسلامية في الشكل والمضمون جميعًا .

وإذا كان التراث العربي قد انتبه منذ وقت مبكّر إلى أهمية المقدمة بتسليط الضوء على كثير من عناصرها السالفة الذكر ، والتي سنشير إليها في مراحل بحثنا ، إلا أن الأمانة العلمية تقتضي لفت النظر إلى أن معالجة الخطاب المقدماتي في بنياته ودلالات كل منها ، قد تزامن مع التطور الكبير الذي شهدته العلوم اللغوية في العصر الحديث ، وظهور المدارس النقدية ومناهجها المتنوعة في دراسة النصوص عامة ، والنصوص المصاحبة أو الموازية على نحو خاص تلك التي برزت إلى السطح من الدراسات النصية مع جيرار جينيت .

ورغم كثرة الدراسات التي اشتمل عنوانها على دالَّتَيْ الخطاب المقدماتي ، إلا أنه لا توجد دراسة سابقة تناولت الخطاب المقدماتي في غريبَيْ القرآن الكريم والحديث النبوي ، هذا الحقل المعرفي الذي ينتمي بصورة أو بأخرى إلى حقل المعاجم اللغوية ، ذلك الانتماء الذي يدفعنا إلى الإشارة إلى دراسة واحدة سابقة تناولت المعاجم اللفظية التي ليس من بينها

---

[1] – عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر . يوسف الإدريسي . ط١/٢٠١٥م . الدار العربية للعلوم ناشرون . بيروت . ص ٤٧ .

من قريب أو بعيد كتب الغريبين ، وهذه الدراسة هي : بنية المقدمة في في المعجمات اللفظية التراثية للباحث الدكتور أحمد محمد علي حسن زايد مدرس علم اللغة بكلية التربية جامعة عين شمس ، وقد نُشِرَتْ هذه الدراسة في مجلة كلية الآداب – جامعة بور سعيد – العدد الحادي عشر – يناير ٢٠١٨م .

وقد حدد الباحث المعاجم اللفظية التي دارت حولها دراسته وهي معاجم : العين للفراهيدي ، والتقفية للبندنيجي ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، وديوان الأدب للفارابي ، وتهذيب اللغة للأزهري ، وتاج اللغة وصِحاح العربية للجوهري ، ومجمل اللغة ومقاييس اللغة وكلاهما لابن فارس ، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده الأندلسي، وأساس البلاغة للزمخشري ، وشمس العلوم لنشوان الحميري ، والتكملة والذيل والصلة والعباب الزاخر واللباب الفاخر للصاغاني، ومختار الصحاح للرازي ، ولسان العرب لابن منظور ، والمصباح المنير للفيومي ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ، وتاج العروس ، والتكملة والذي والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة للزبيدي ([1]) .

وللرغبة في الجمع بين التراث والمعاصرة حاولنا في بحثنا هذا دراسة الخطاب المقدماتي لكتب الغريبيْن : القرآن الكريم والحديث النبوي ؛ بغية الكشف عن ملامح البنية والدلالة في هذا الخطاب ، وارتباطه بالتراث العربي عامة وأدبياته والإسلامي وثقافته الدينية خاصة ، من خلال الإفادة من النظرية النقدية الحديثة وروافدها التراثية .

ولقد قسمنا البحث – بعد هذه المقدمة – خمسة فصول ، عنونا للفصل الأول بعنوان : مداخل تمهيدية ، حيث تناولنا الحديث عن كلٍّ مِنْ : غريب القرآن الكريم ، ثم غريب الحديث النبوي ، ثم الغريبيْن ، ثم الخطاب

---

[1] – بنية المقدمة في المعجمات اللفظية التراثية . د/ أحمد محمد حسن علي زايد . مجلة كلية الآداب . جامعة بور سعيد . العدد ١١ . يناير ٢٠١٨م . ص ٧٨٦– ٧٨٧ .

المقدماتي ، وختمنا هذا الفصل الأول بالحديث عن مفهوم البنية وما ارتبط بها من الدلالة .

وجاء عنوان الفصل الثاني : بنية الاستهلال ، حيث تناولنا فيه استهلال المؤلفين لخطابهم المقدماتي ، بادئين بالحديث عن الاستهلال في كتب غريب القرآن ، ثم في كتب غريب الحديث ، وأخيرًا عرضنا للاستهلال في مقدمات كتب الغريبَيْن .

وجاء الفصل الثالث بعنوان بنية الموضوع ، حيث عرضنا فيه لبنية الموضع في مقدمات غريب القرآن ، ثم غريب الحديث ، وختمناه ببنية الموضوع في كتب الغريبَيْن .

وأما عنوان الفصل الرابع ، فهو بنية الخاتمة ، تناولنا فيه خاتمة المقدمة في كتب : غريب القرآن ، غريب الحديث ، ثم كتب الغريبَيْن .

ثم كانت الخاتمة التي عرضنا فيها لأهم ما توصل إليه البحث من النتائج ، ثم أردفنا الخاتمة بثبت المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذا البحث .

والله تعالى نسأل التوفيق والسداد ، إنه سبحانه وتعالى وليُّ ذلك والقادر عليه .

المؤلف

دكتور ياسر عبد الحسيب رضوان

الفصل الأول

مداخل تمهيدية

١ ـ ١ ـ غريب القرآن

١ ـ ٢ ـ غريب الحديث النبوي

١ ـ ٣ ـ الغريبَيْن : القرآن والحديث

١ ـ ٤ ـ الخطاب المقدماتي

١ ـ ٥ ـ البنية والدلالة

١ ـ ١ ـ غريب القرآن :

يرتبط الجذر اللغوي غرب في المعاجم العربية بدلالات منها الحِدَّة والغرْب هو التمادي وغرب كل شيءٍ :حدُّه وغرْبُ اللسان :حدَّته ، وسيف غرب : قاطعٌ ،والغرب : يوم السقي ،الدَّلْو الكبير ،ووصف الفرس بأنه غرب عند الأصمعي أيْ أنه فرس كثير العَدْوِ ،والغرب والمغرب :الذهاب والتنحي عن حد وطنه وسهم غرْبٌ لا يُدرى مَنْ رماه فهو مجهول (١) ومنها غروب الشمس بمعنى غيابها ، والغَرْبُ : النوى والبُعْد وغَرَبَ : بعُد ، وأغرب أي : تباعد ، والغَرْبُ والغُرْبَةُ : النزوح عن الوطن ومثله الاغتراب ، والغريب : البعيد عن وطنه ، والغريب هو الوحيد الذي لا أهل له ، والغريب من الكلام هو الغامض (٢) .

وربما كانت الغرابة بسبب قلة الاستعمال بين العامة من الناس وذلك قول الزجاجي [ت ٣٣٧هـ] عن اللفظ الغريب : إنه " ما قلَّ استماعه من اللغة ، ولم يدُرْ في أفواه العامة كما دار في أفواه الخاصة " (٣) وقريب من ذلك ما نراه في تعريفات الشريف الجرجاني للغرابة أنها " كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال (٤) والوحشيّ هو الغريب من الألفاظ أو هو " الغريب الذي يقل استعماله " (٥) .

ورغم تنوع الدلالات إلا أنها جميعها تتفق على المجهول غير المعروف ،فالبعيد مجهول غير معروف ، والغروب بمعنى الغياب يستدعي

---

١ – الأزهري : تهذيب اللغة – تحقيق عبد العظيم محمود – الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م – ١١٢/٨– ١٢٠ مادة غرب .

٢ – ابن منظور : لسان العرب – دار صادر – بيروت – ٦٣٧/١– ٦٤٤ – مادة غرب

٣ – الزجاجي : الإيضاح في علل النحو . تحقيق د/مازن المبارك . ط٣/١٩٧٩م . دار النفائس . بيروت . ص٩٢.

٤ – الجرجاني : معجم التعريفات – تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي . دار الفضيلة . مصر الجديدة ٢٠٠٤م – ص ١٣٥ .

٥ – ابن الأثير : المثل السائر – ابن الأثير . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مكتبة مصطفى البابي الحلبي . مصر ١٩٣٩م – ١٦٣/١ .

عدم المعرفة بالغائب ، فهو مجهول للحاضر ، والنازح عن وطنه غير معروف مكانه ، والاغتراب إحساس بالبُعدِ من المكان وأهله ، والغريب – هو – البعيد عن وطنه ولا أهل له مجهول غامض لأهل المكان ،وكذا الكلام الغريب : هو الغامض غير المفهوم الذي قلّ شيوعه بين العامة من الناس ، ومن ثمة فهو " بعيد المعنى غامضه ، لا يتناوله الفهم إلا عنْ بُعْدٍ ومُعاناة فكر " ([1]) .

وعلى ذلك فإن مفهوم غريب القرآن ينصرف إلى تلك الألفاظ الغامضة التي خفيَتْ دلالتها وأُبْهِمَ معناها ، بحيث إنها تحوج متلقي القرآن الكريم إلى البحث عنها في بطون أمهات كتب اللغة ومعاجمها ، ومن ثمة كانت معرفة غريب القرآن من أجلِّ المعارف التي يجب على المسلمين عامة الإلمام بها ، ويزداد الوجوب حتمية مع مفسري القرآن الكريم ؛ لأن معرفة الغريب من أهم أدواته للكشف عن معاني الآيات الكريمة ، قال الإمام الزركشي [ت٧٩٤هـ] : " ومعرفة هذا الفن للمفسِّرِ – أمرٌ – ضروري ، وإلاّ فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى " ([2]) وعلى ذلك تنتمي كُتُب غريب القرآن إلى فرع التفسير ؛ لارتباطها بدلالات الألفاظ القرآنية ، وتنتمي في الآن عينه إلى العلوم اللغوية ، وخاصة فرع المعاجم لطبيعة تلك الكتب ، وطبيعة المنهج الذي اعتمد عليه المؤلفون في ترتيب المواد اللغوية .

وقد ذكر أبو بكر الأنباري [ت ٣٢٨هـ] من مسوغات التأليف لكتب غريب القرآن الكريم ما " جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه وتابعيهم رضي الله عنهم من تفضيل إعراب القرآن والحضِّ على تعليمه ، وذمّ اللحن وكراهيته ما وجب به على قُرَّاء القرآن أن يأخذوا أنفسَهم بالاجتهاد

---

[1] – الخطابي : غريب الحديث– تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي – السعودية – جامعة أم القرى – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – ٧١/١ .

[2] – الزركشي : البرهان في علوم القرآن– تحقيق أبي الفضل الدمياطي – دار الحديث – القاهرة ٢٠٠٦م – ص ٢٠٤ .

في تعلّمه "([1]) من ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة [ت٢٣٥هـ] والحاكم [ت٤٠٥هـ] في مستدركه على الصحيحين من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه "([2]) إلى جانب ما يقتضيه العقل وما تستدعيه الضرورة من أثر في توجيه طائفة من العلماء المسلمين للتأليف في علم غريب القرآن الكريم ، ومن ثمة غريب الحديث النبوي ، وكذلك غريب اللغة ، فقد انبرى هؤلاء العلماء للتأليف في غريب القرآن .

ولقد أفاد مؤلفو غريب القرآن الكريم من مسلك الصحابي الجليل عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – في الاستعانة بالشعر على تفسير ما يلقونه من غريب ألفاظ القرآن الكريم ، فقد أُثِر عنه قوله : " إذا سألتموني عن غريب اللغة ، فالْتمسوه في الشعر ؛ فإن الشعر ديوان العرب " ([3]) وما ورد عنه أيضًا في كتاب **مجالس ثعلب** [ت٢٩١هـ] : " إذا اشتبه – غُمّ وغمض – عليكم شيء من القرآن فاطلبوه في الشعر " ([4]) وكذلك من توجيهات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شأن ألاّ يُقْرِئَ الناسَ القرآنَ إلا عالم ، وأَمْرِهِ أبا الأسود الدؤلي أن يضع علم النحو ([5]) ولعل ذلك بدافع خوف اللحن في كتاب الله تعالى .

---

[1] – الأنباري : إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ– تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان – مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق ١٩٧١م – ١٤/١ .

[2] – ابن أبي شيبة : المصنف– تحقيق أبي أسامة بن إبراهيم – ط٢٠٠٨/١م – الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – حدائق شبرا – القاهرة – ٧/١٠ الحديث رقم ٣٠٥١٤، وقد رواه الحاكم في : المستدرك على الصحيحين – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا – ط٢٠٠٢/١م – دار الكتب العلمية – ٧٤٤/٢ – الحديث رقم ٣٦٤٤ وقد علق عليه بقوله : إنه حديث صحيح الإسناد على مذهب أئمتنا ولم يُخرِّجاه .

[3] – الأنباري : إيضاح الوقف والابتداء ٦٢/١ .

[4] – ثعلب : مجالس ثعلب – شرح وتحقيق عبد السلام هارون – دار المعارف – مصر ١٩٦٠م – ٣١٧/١ .

[5] – الأنباري نزهة الألباء في طبقات الأدباء – تحقيق د/ إبراهيم السامرائي – ط١٩٨٥/٣م – مكتبة المنار – الأردن – ص ١٩– ٢٠ .

ويبدو أن أقدم المحاولات في تفسير غريب القرآن ما أُثِر عن عبد الله بن عباس [ت٦٨هـ] من مجموعة الأسئلة التي وُجِّهَتْ إليه وأجاب عنها وقد طبعت هذه الأسئلة بعنوان مسائل نافع بن الأزرق ،وقد أثبتها محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه ([1]) ناقلاً لها من كتاب الإتقان للسيوطي [ت ٩١١هـ] الذي قال : " وأَوْلَى ما يُرجَعُ إليه في ذلك . تفسير غريب القرآن . ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ،فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة ،وها أنا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة ،فإنها من أصحِّ الطرقِ عنه، وعليها اعتمد البخاري في صحيحه مرتبًا على السور "([2]) وعن السيوطي أيضًا أثبتت الدكتورة عائشة عبد الرحمن /بنت الشاطئ مسائل نافع بن الأزرق في نهاية كتابها الإعجاز البياني ومسائل بن الأزرق ([3]) .

وثمة تحقيق أحدث لمسائل ابن الأزرق قام به كل من: محمد عبد الرحيم وأحمد نصر الله ،وقد جعلا عنوانه " غريب القرآن في شعر العرب – سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس " وقد قال المحققان عن هذا العنوان: " وقد أضفنا إلى العنوان الرئيس عنوانًا جديدًا وضروريًّا وهو: غريب القرآن في شعر العرب ؛ كيْ يقع هذا العنوان على نظر القارئ ويتفهم المراد منه "([4]) ويبدو أنه عنوان دعائيٌّ تسويقيٌّ يعين على رواج الكتاب وسوقه ؛ لأن في الطبعات السابقة عليه غناءً عنه ؛ إذ لم يُضِف إليها جديدًا .

---

[1] – محمد فؤاد عبد الباقي : معجم غريب القرآن مستخرجًا من صحيح البخاري . البابي الحلبي . مصر ١٩٥٠ . ص ٢٣٤ إلى آخره .

[2] – السيوطي : الإتقان في علوم القرآن– تحقيق شعيب الأرنؤوط – ط١/٢٠٠٨م – مؤسسة الرسالة ناشرون – بيوت – ص ٢٤٠ .

[3] – بنت الشاطئ : الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق– دار المعارف – القاهرة ١٩٧١م – ص ٢٧٨ إلى آخر الكتاب .

[4] – غريب القرآن في شعر العرب – سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس – تحقيق محمد عبد الرحيم وأحمد نصر الله – ط١/١٩٩٣م – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ص ٢٠ .

ثم توالت بعد ***مسائل نافع بن الأزرق*** المؤلفات في غريب القرآن ، واتخذ بعضها عناوين مثل مجاز القرآن ، أو معاني القرآن ، بيد أننا هنا سوف نقصر بحثنا على يتضمن عنوانه كلمة غريب أو الغريب ، أو غرائب وسوف نولي البعد التاريخي أهمية خاصة في تحديد أسبقية التأليف في غريب القرآن الكريم ؛ للوقوف على بنية الخطاب المقدماتي ودلالاته منتهجين في ذلك نهجًا تحليليًّا .

كتب غريب القرآن :

الأصفهاني : الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد

١ ـ مفردات ألفاظ القرآن – تحقيق صفوان عدنان داوودي – ط٤/٢٠٠٩م – دار القلم – دمشق .

الجزائري : عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي

٢ ـ الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز – تحقيق محمد شايب شريف و أبو بكر بلقاسم ضيف – ط١/٢٠١٨م – دار الكتب العلمية – بيروت

ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي

٣ ـ تذكرة الأريب في تفسير الغريب – تحقيق د/ علي حسين البواب – ط١/١٩٨٦م – مكتبة المعارف – الرياض .

أبو حيان الأندلسي : الشيخ أثير الدين

٤ ـ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب – تحقيق سمير المجذوب – ط١/١٩٨٣م – المكتب الإسلامي – بيروت .

الخزرجي : أبو جعفر حمد بن عبد الصمد بن عبد الحق

٥ ـ نَفَس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه – دراسة وتحقيق محمد عز الدين المعيار الإدريسي – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ١٩٩٤م .

الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر

٦ ـ مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل – تحقيق إبراهيم عطوة عوض – ط١/١٩٦١م – مكتبة مصطفى البابي الحلبي– مصر .

السجستاني : أبو بكر محمد بن عزيز
٧ ـ غريب القرآن المسمَّى : نزهة القلوب في تفسير القرآن العزيز – عناية لجنة من أفاضل العلماء – مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده – مصر ١٩٦٣م .
الصنعاني : الأمير محمد بن إسماعيل
٨ ـ تفسير غريب القرآن – تحقيق وتعليق وضبط محمد صبحي بن حسن حلاق – ط١/٢٠٠٠م – دار ابن كثير – دمشق .
الطريحي : الشيخ فخر الدين
٩ ـ تفسير غريب القرآن – تحقيق وتعليق ونشر محمد كاظم الطريحي – المطبعة الحيدرية – النجف .
ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم
١٠ ـ تأويل مشكل القرآن – شرحه تحقيق السيد أحمد صقر – دار إحياء الكتب العربية – مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٩٥٤م .
١١ ـ تفسير غريب القرآن – تحقيق السيد أحمد صقر – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٨م .
ابن قَطْلُوبُغا : زين الدين الحنفي بن عبد الله
١٢ ـ تحفة الأريب بحل ما في القرآن من الغريب – ماجستير – دراسة وتحقيق – إعداد محمد هاشم محمد عسلية – الجامعة الإسلامية – غزة – كلية الآداب – قسم اللغة العربية ٢٠١٣م .
القيسي : أبو محمد مكي بن أبي طالب
١٣ ـ تفسير المُشْكِل من غريب القرآن – تحقيق د/ علي حسين البواب – مكتبة المعارف – الرياض – السعودية ١٩٨٥م .
الكرماني : محمود بن حمزة
١٤ ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل – تحقيق د/ شمران سركال يونس العجلي – مؤسسة علوم القرآن – بيروت ١٩٨٨م .
المارديني : علي بن عثمان
١٥ ـ بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب – تحقيق د/ ضاحي عبد الباقي – دار ابن قتيبة للطباعة – الكويت – د.ت .

ابن المنيِّر : أبو العباس أحمد بن محمد المالكي
١٦ ـ التيسير العجيب في تفسير الغريب – تحقيق سليمان ملا إبراهيم أُوغْلُو – ط١/١٩٩٤م – دار الغرب الإسلامي – بيروت .
المهايمي : علي بن أحمد بن إبراهيم
١٧ ـ تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان وبهامشه نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني – ط٢/١٩٨٣م – عالم الكتب – بيروت – طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٢٩٥هـ .
النيسابوري : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمّي
١٨ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان – ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات – ط١/١٩٩٦م – دار الكتب العلمية – بيروت .
ابن الهائم : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد
١٩ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن – تحقيق د/ ضاحي عبد الباقي محمد – ط١/٢٠٠٣م – دار الغرب الإسلامي – بيروت .

١ ـ ٢ ـ غريب الحديث النبوي :

ثمة مصطلح حديثي لابد من الإشارة إليه في هذا السياق ، وهو مصطلح الحديث الغريب ،والمراد به " ما ينفرد بروايته راوٍ واحدٌ " ([1]) ويشترك مع هذه التسمية مصطلح حديثي آخر له الدلالة نفسها وهو الفرد الذي قد يترادف ومدلول الغريب ،وقد يفرّق بينهما من حيث إطلاق الفرد على الفرد المطلق الذي يرادف الغريب المطلق ،وهو " ما كانت الغرابة في أصل سنده ،أيْ : ما ينفرد بروايته شخصٌ واحدٌ في أصل سنده "([2]) .

والنموذج المشهور الذي يمثلون به لذلك الغريب هو حديث " إنما الأعمال بالنيات " حيث تفرّد بروايته عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أو ما كانت الغرابة راجعة إلى سنده ،ومن ثمة يُطلق عليه الغريب النسبي الذي يرادف الفرد النسبي وهو " ما كانت الغرابة في أثناء سنده ، أيْ أنْ يرويه أكثر من راوٍ في أصل سنده ،ثم ينفرد به راوٍ واحد عن أولئك الرواة "([3]) ومثاله الحديث الذي رواه مالك عن الزهري عن أنس رضي الله عنه: " أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المِغْفَر " فقد تفرد بروايته مالك عن الزهري ،فقد وقع التفرد فيه بالنسبة إلى شخصٍ معين .

ولا يبعد المعنى الاصطلاحي لغريب الحديث عن المعنى اللغوي المطروق فيما سبق ،إذ يُعرفُ غريبُ الحديث بأنه " ما وقع في متن الحديث من لفظة غامضة بعيدة عن الفهم ؛لقلة استعمالها "([4]) بحيث إنها تُحْوِج المتلقي إلى البحث عنها في بطون أمهات كتب اللغة ومعاجمها ،ومن ثمة كان علم غريب الحديث شأن علم غريب القرآن من أجلِّ العلوم التي يجب

---

[1] – د/ محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث – ط١١/٢٠١٠م – مكتبة المعارف – الرياض – ص ٣٨ .

[2] – السابق ص ٣٩ .

[3] – تيسير مصطلح الحديث – السابق ص ٤٠ .

[4] – السيوطي : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي . حققه الفاريابي – ط٢/١٤١٥هـ – مكتبة الكوثر – الرياض – ٦٣٧/٢ .

على المسلمين عامة الإلمام بها ؛ لأنه " فنٌّ مهم ، والخوض فيه صعب ، فليتحرَّ خائضه وكان السلف يتثبتون فيه أشدَّ تثبُّت " ([1]) ويزداد ويزداد هذا التثبُّتُ حتمية مع مفسري الحديث النبوي ؛ لأن معرفة الغريب من أهم أدواتهم للكشف عن معاني الأحاديث النبوية ، وتجنبًا في الآن عينه للخوض في تفسير الحديث النبوي بما ليس فيه ؛ حتى لا يقع المفسِّرون للحديث النبوي تحت طائلة قوله صلى الله عليه وسلم في رواية أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : " تَسَمَّوْا بِاسْمِي ، ولا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " ([2]) .

وربما كان ذلك التحذير سببًا في قلة المؤلفات في غريب الحديث النبوي مقارنة بما أُلِّفَ في غريب القرآن الكريم رغم أن الأسباب التي دفعت إلى التأليف في الغريبين واحدة حيث تفشي العُجمة واختلاط الألسن وتداخل اللغات بعد انتشار الفتوحات الإسلامية ،ودخول غير العرب في الدين الإسلامي ،ونشأة جيل لم يهتم إلا بتعلم ما يُعينه على لغة الخطاب/ الحوار دون الغوص في فنيات اللغة وغرائبها التي حرص النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده على توضيحها لعامة المسلمين ،ومن ثمة اختفى تفسير هذه الغرائب – على أهميتها الشديدة – مع بُعد البون بين المسلمين وعصر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وكذلك عصر التابعين الذي انتست فيه معرفة غريب اللغة ،وعمَّ الجهل بهذا العلم المهم لراوي الحديث ومتلقيه في آنٍ معًا ،ومن ثمة كانت الحاجة إلى التأليف فيه ماسة .

وقد ذكر الخطابي [ت ٣٨٨هـ] السبب في ظهور علم غريب الحديث ، وارتباطه بانتهاء القرن الثالث الهجري ، ذلك أن هذا القرن قد شهد

---

[1] – تدريب الراوي – السابق ٦٣٨/٢ .

[2] – ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري– تحقيق شعيب الأرنؤوط ورفاقه – ط٢٠١٣/١م – دار الرسالة العالمية – دمشق ، الحجاز – ٤٢٣/١ – الحديث رقم ١١٠ ، وقد ورد النهي عن الكذب عليه صلى الله عليه وسلم بروايات أخرى .

ذهابَ أعلام الحديث النبوي ، ودخول الأعاجم في دين الله وتناقلهم الحديث النبوي تناقلاً ظهر معه لَحْنُ القول ولُكْنةُ اللسان مما دفع العلماء الغيورين على حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى " أنْ يُعنوا بجمع الغريب من ألفاظه وكشف المُغْدَفِ – المراد كشف المستور – من قِناعِه ، وتفسير المُشْكِلِ من معانيه ، وتقويم الأوَدِ من زَيْغِ ناقليه " (١) خاصة وقد انتشرت ظاهرة الانتحال بصورة كبيرة بين كثير من العرب .

وقد كان لهذه الرغبة في الحفاظ على حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما بعدها ؛إذ رأى المحافظون على حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الحديث من القرون السابقة قد قضى عليهم الموتُ ،ولم يتركوا للناس ما يُعينهم على الحفاظ على سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لذا قام هؤلاء المتأخرون بالتأليف في علم غريب الحديث كُتُبًا تجمع مفرداته وتفسرها" لتكون لِمَنْ بعدهم قُدْوَةً وإمامًا ،ومن الضلال عِصْمَةً وأمانًا " (٢) وإلى مثل ذلك ذهب ابن الأثير[ت٦٠٦هـ] في كتابه ***النهاية*** موضحًا الظروف التي اقتضت حتمية وجود علم الغريب فقال : " فلمَّا أعضَل الداء وعزَّ الدواء ألْهَمَ الله عزَّ وجلَّ جماعة من أولي المعارف والنُّهَى ، وذوي البصائر والحِجَى أنْ صرفوا إلى هذا الشأن طرفًا من عنايتهم ، وجانبًا من رعايتهم ، فشرعوا للناس فيه مواردًا ، ومهَّدوا لهم فيه معاهدًا ؛ حراسة لهذا العلم الشريف من الضياع ، وحفظًا لهذا المُهِمِّ العزيز من الاختلال " (٣) وذلك فيما ظهر من مؤلفاتهم التي دارت حول غريب الحديث .

أما عن بدء التأليف ، فقد ذكر الخطابي في غريبه (٤) أن أول مَنْ سبق فيه ، ودلَّ مَنْ بعدَه هو أبو عبيد القاسم بن سلام [ت٢٢٤هـ]

---

١ – غريب الحديث : الخطابي – سابق – ٤٧/١ .
٢ – السابق الموضع نفسه .
٣ – النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير . تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي . ط١٩٦٣/١م . نشر المكتبة الإسلامية . ٥/١ .
٤ – غريب الحديث : الخطابي – سابق – ٤٧/١ .

الذي لم يُشِرْ في كتابه إلى أسبقية أحدٍ عليه في هذا الفن ، وإن كان أخذ عن أبي عُبيدة معمر بن المثنى ، كما أشار ابن قتيبة [ت٢٧٦هـ] إلى أولية أبي عبيد القاسم بن سلام ، ثم كان ابن قتيبة مِنْ بعده (١) وقال عبد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه [ت ٣٤٧هـ] : " كِتابُ غريب الحديث أول مَنْ عمله أبو عُبَيْدة معمر بن المثنى وقطرب والأخفش والنضر بن شميل ، ولم يأتوا بالأسانيد ، وعمل أبو عدنان النحوي البصري كتابًا في غريب الحديث ذكر فيه الأسانيد وصنّفه على أبواب السُّنن والفقه ، إلا أنه ليس بالكبير ، فجمع أبو عُبَيْد عامة ما في كتبهم ونشره وذكر الأسانيد ، وصفّ المسند على حدة ، وأحاديث كل رجل من الصحابة والتابعين على حدته ، وأجاد تصنيفه ، فرغِب فيه أهل الحديث والفقه واللغة ؛ لاجتماع ما يحتاجون إليه فيه " (٢) .

وابن درستويه بذلك ربما نال من أولية أبي عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث ، حيث جعل كل ما قام به أبو عبيد هو جمع ما في المؤلفات السابقة ، وذكر الأسانيد ونسبة الأحاديث لأصحابها ، وقد توقف عند ابن سلام رغم أنه هو له كتاب في غريب القرآن ذكره النديم في كتاب الفهرست (٣) وكذلك تجاهل ابن درستويه ابنَ قتيبة الذي ألَّف – إلى جانب غريب القرآن – غريب الحديث ، وهذا التجاهل وجدناه عند ابن الأثير بصورة أخرى حيث ذكر أن أول مؤلَّفٍ منها كان لأبي عبيدة معمر بن المثنى [ت ٢١٠هـ] الذي ترك كتابًا صغيرًا ، ثم جاء من بعده النضرُ بن شميل [ت ٢٠٤هـ] ثم عبد الملك بن قُريب الأصمعي [ت٢١٦هـ] وذلك

---

١ – غريب الحديث : ابن قتيبة . تحقيق د/ عبد الله الجبوري . ط١/١٩٧٧م . مطبعة العاني . بغداد . ١/١٥٠ .

٢ – المجموع المغيث في غريبَيْ القرآن والحديث : المديني الأصفهاني – تحقيق عبد الكريم العزباوي – ط١/١٩٨٦م – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – جدة – السعودية – ١/٩ .

٣ – الفهرست : النديم . تحقيق أيمن فؤاد سيد . مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي . لندن ٢٠٠٩م . ١/١٨٦ .

في الترتيب الذي أتى به ابن الأثير ،وقد توفي النضر بن شميل قبل أبي عبيدة، وكذلك قُطْرُب أبو محمد علي بن المستنير [ت ٢٠٦هـ](١) والتجاهل الذي أعنيه هو عدم دقة ابن الأثير في ترتيب المؤلِّفين في غريب الحديث ترتيبًا زمنيًّا ،إلى جانب إغفاله بعض مَنْ أَلَّفُوا في غريب الحديث قبل أبي عُبَيْد ،منهم أبو عمرو الشيباني [ت ٢١٣هـ] (٢) وأبو زيد الأنصاري [ت ٢١٥هـ] الذي كان من بين مؤلفاته كتاب غريب الحديث (٣) هذا وقد ذكر النديم [ت٣٧٧هـ] في فهرسته ما يزيد على خمسة وعشرين كتابًا تحمل كلها عنوان ***غريب الحديث*** (٤) .

كتب غريب الحديث :

ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري

١ ـ منال الطالب في شرح طوال الغرائب – تحقيق د/ محمود محمد الطناحي – ط٢/١٩٩٧م – مكتبة الخانجي – القاهرة .

٢ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر . تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي . ط١/١٩٦٣م . المكتبة الإسلامية . القاهرة .

التلمساني : أبو محمد عبد الحق بن سليمان

٣ ـ الاقتضاب في غريب الموطّأ وإعرابه على الأبواب – حققه وقدّم له وعلّق عليه د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين – ط١/٢٠٠١م – مكتبة العبيكان – الرياض .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي

٤ ـ غريب الحديث – وثّق أصوله ، وخرّج أحاديثه وعلَّق عليه د/ عبد المعطي أمين قلعجي – ط١/٢٠٠٤م – دار الكتب العلمية – بيروت .

---

١ – النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير ١/ ٦ .
٢ – الفهرست : النديم ١/ ٢٠٣– ٢٠٥ .
٣ – السابق ١/ ٢٧٠ .
٤ – السابق ١/ ٢٧٠– ٢٧١ .

الحربي : أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق

٥ ـ غريب الحديث – المجلدة الخامسة – تحقيق ودراسة د/ سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد – ط١/١٩٨٥م – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – دار المدني للطباعة والنشر – جدة – السعودية .

الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد

٦ ـ غريب الحديث – تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي – السعودية – جامعة أم القرى – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

الزمخشري : جار الله محمود بن عمر

٧ ـ الفائق في غريب الحديث – تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم – ط٢/١٩٧١م – مكتبة البابي الحلبي – مصر .

السرقسطي : أبو محمد القاسم بن ثابت

٨ ـ الدلائل في غريب الحديث – تحقيق د/ محمد بن عبد الله القناص – ط١/٢٠٠١م – مكتبة العبيكان – الرياض – السعودية .

السلمي : عبد الملك بن حبيب الأندلسي

٩ ـ تفسير غريب الموطأ . حققه وقدّم له د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين . ط١/٢٠٠١م . مكتبة العبيكان . الرياض . السعودية .

السمعاني : أبو منصور محمد بن عبد الجبار

١٠ ـ مجموع غرائب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم – تحقيق محمد بن عبد الرحمن آل سعود – نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٢٨هـ .

عياض : القاضي أبو الفضل عياض بن موسى

١١ ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار – حققه وخرّج أحاديثه صالح أحمد الشامي – ط٢/٢٠١٨م – دار القلم – دمشق .

الفارسي : أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل

١٢ ـ مجمع الغرائب ومنبع الرغائب – ماجستير – دراسة وتحقيق من إعداد الطالب عبد الله ناصر بن محمد القرني – من أول الكتاب إلى نهاية باب الثاء – جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية – مكة المكرمة ١٩٨٩م .

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم :

١٣ ـ غريب الحديث . تحقيق د/ عبد الله الجبوري . ط١/١٩٧٧م . مطبعة العاني . بغداد .

ابن قُرْقُول : أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني

١٤ ـ مطالع الأنوار على صِحاح الآثار – تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث – ط١/٢٠١٢م – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – دولة قطر .

المديني: أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني

١٥ ـ المجموع المغيث في غريبَيْ القرآن والحديث – تحقيق عبد الكريم العزباوي – ط١/١٩٨٦م – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – جدة – السعودية .

النيسابوري : محمود بن أبي الحسن بن الحسين

١٦ ـ جُمل الغرائب – تحقيق ودراسة – دكتوراة من إعداد خالد الأكوع – جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية – قسم الدراسات العليا – فرع اللغويات .

١ ـ ٣ ـ الغريبَيْن : القرآن والحديث :

هذه مرحلة ثالثة من مراحل التأليف في الغريب ، وهي مرحلة الجمع بين غريبَيْ القرآن الكريم والحديث النبوي في مؤلَّفٍ واحد ، وهي مرحلة تأخرت عن سابقتيها ، وإن تزامنتْ مع ما تلا البدايات من المؤلفات ؛ لأن أول مَنْ نُصَادفُه مِنَ المؤلفين في غريبَيْ القرآن والحديث هو العلامة أبو عُبَيْد أحمد بن محمد الهروي [ت٤٠١هـ] حيث وضع كتابه ***الغريبيْن في القرآن والحديث*** (١) ثم أتى مِنْ بعده بما يقرب من قرنين من الزمان أبو عيسى المديني الأصفهاني [ت٥٨١هـ] حيث وضع كتابه ***المجموع المغيث في غريبَيْ القرآن والحديث*** (٢) .

ثم أتى من بعده بما نيّفَ على أربعة قرون الشيخ محمد طاهر الصديقي الهندي [ت ٩٨٦هـ] وألَّفَ كتابَهُ ***مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار*** (٣) وطول المدة البينية بين كل مؤلَّفٍ وما يليه تستثير فكرة قلة المؤلفات في غريبَي القرآن والحديث مقارنة بما أُلِّف في كل منهما على حِدَة ، وبعد الشيخ الصديقي الهندي جاء الشيخ فخر الدين الطريحي [ت ١٠٨٥هـ] بكتابه ***مجمع البحرين*** (٤) فتلك أربعة كُتب جمعت بين غريبَيْ القرآن الكريم والحديث النبوي ، وهذا العدد هو ما وقفنا عليه من المؤلفات المطبوعة التي وفقنا الله تعالى للحصول عليها ، وهو عدد يؤكد قلة المؤلفات التي جمعتْ بين الغريبيْن – كما قلنا – في مؤلَّفٍ واحد مقارنة بما أُلِّفَ في كل علمٍ على حِدة .

---

١ – الغريبيْن في القرآن والحديث : أبو عبيد الهروي – تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي – راجعه وقدم له د/ فتحي حجازي – ط١/١٩٩٩م – مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض .

٢ – المجموع المغيث في غريبَيْ القرآن والحديث – المديني الأصفهاني – سابق .

٣ – مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار : محمد طاهر الصديقي الفتَّني – تقديم الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي – مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند ١٩٦٧م .

٤ – مجمع البحرين : الطريحي – تحقيق أحمد الحسيني – ط١/٢٠٠٧م – مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت .

كتب الغريبَيْن :

١ ـ الأصفهاني : أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني
المجموع المغيث في غريبَيْ القرآن والحديث – تحقيق عبد الكريم العزباوي – ط١/١٩٨٦م – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – جدة – السعودية .

٢ ـ الطريحي : الشيخ فخر الدين
مجمع البحرين – تحقيق أحمد الحسيني – ط١/٢٠٠٧م – مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت .

٣ ـ الفتَّني : محمد طاهر الصديقي
مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار –– تقديم الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي – مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند ١٩٦٧م .

الهروي : أبو عُبَيْد أحمد بن محمد – صاحب الأزهري
٤ ـ الغريبيْن في القرآن والحديث – تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي – راجعه وقدم له د/ فتحي حجازي – ط١/١٩٩٩م – مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض .

١ ـ ٤ ـ الخطاب المقدماتي :

تجاوز الخطاب المقدماتي وظيفته الشكلية باعتباره ركنًا ركينًا في جسد النص المكتوب أو المقروء : (رسالة – خطبة – وصية) وذلك في التراث التأليفي العربي الذي فطن إلى أهمية المقدمة عندما قال أبو عثمان الجاحظ [ت٢٥٥هـ] :" إن لابتداء الكتاب فتنة وعُجبًا " (١) ولعل خُصوصيتها بالعُجب والفتنة ؛ تفسِّرها منزلة المقدمة عند ابن خلف الكاتب [ت ٤٣٧هـ] الذي يرى أنَّ " منزلة هذه المقدمات من كل كلامٍ مؤلَّفٍ منزلة الرأس من الجسد والأساس من البناء ، وكما أن الرأس يضمُّ أعضاء الجسد ويرأسها ، وكذلك المقدمة التي يُقدمها المُنشئُ في صدر كلامه تضم ما تتبعه وتقع في ضمنه " (٢) .

ومن أغراض المقدمة عند ابن خلَفٍ أيضًا الإبانة عن مقصود صاحبها ؛ فإنّ " مؤلِّفَ الكلام لا يغني عن تقديم مقدمة يتطرق منها إلى ما يروم التاليف فيه " (٣) فمقدمة الكتاب – كما يقول علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني [ت٨١٦هـ] – هي " ما يَذْكُرُ فيه قبل الشروع في المقصود لارتباطها " (٤) ومن ثمة فإنها العتبة الأبرز بين عتبات النص التي يَلِج منها المتلقي إلى عالم النص أو متنه ؛ ولذلك كانت أوليتها دالة على دورها في إضاءة النص ، أو متن الكتاب التي تجيء في صدره .

وكونها العتبة الأبرز ؛ لأنها العتبة الأولى ، وأوليّتُها تلك مأخوذة من الدلالة اللغوية لمادة ***قدم*** التي من معاني تصاريفها : القِدَم بمعنى العِتْق والقِدَم نقيض الحدوث ، والقدَم والقُدْمة بمعنى السابقة في الأمر ، ومقدمة

---

١ – الحيوان للجاحظ – تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – ط٢/١٩٦٥م – مكتبة مصطفى البابي الحلبي– مصر – ٨٨/١ .

٢ – علي بن خلف الكاتب : مواد البيان – تحقيق د/ حاتم الضامن – ط١/٢٠٠٣م . دار البشائر – دمشق . ص٨٣

٣ – مواد البيان – السابق ص ٨٤ .

٤ – معجم التعريفات للجرجاني – سابق – ص ١٩٠ .

الجيش أوله ، كما أن مقدمة كل شيءٍ تعني أوله ([1]) أو بدايته التي يحْسُنُ أن تكون قادرة على استثارة حس التلقي عند القارئ ؛ لأنه " إذا كان الابتداء حسنًا بديعًا ، ومليحًا رشيقًا ، كان داعيةً لما يجيء بعده من الكلام " ([2]) ومن ثمة كانت المقدمة عند ابن الأثير الجزري [ت٦٣٧هـ] " أول ما يطرق السمع من الكلام ، فإذا كان الابتداء لائقًا بالمعنى الوارد بعده ، توفّرتِ الدواعي على استماعه " ([3]) وذلك توجيه تراثي للوظيفة التداولية التي تؤديها المقدمة في الخطابات والنصوص التأليفية ، والنثرية على وجه العموم .

وقد ذهب القلقشندي [ت٨٢١هـ] في صبح الأعشى إلى أنه " لا يَحْسُن بالكاتب أن يُخْلِيَ كلامه – وإن كان وجيزًا – من مقدمة يفتتحه بها ، وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة ؛ ليُوَفِّيَ التأليف حقه " ([4]) ومن هذا المنطلق كانت المقدمة أو الابتداء أو الاستهلال أو المطلع الركنَ الأول من أركان الكتابة ، وذلك حيث " يكون مطلع الكتاب عليه جِدَّةٌ ورشاقة ؛ فإن الكاتب مَنْ أجادَ المطلع والمقطع " ([5]) يستوي في ذلك منظوم الكلام ومنثوره ، إذ كان القصد في الكل استمالة المتلقي وجذب انتباهه واستمرارية تواصله مع النص المقروء .

ورغم هذه الأهمية التي وعاها التراث العربي القديم للمقدمة ، فإن الخطاب المقدماتي – في العصر الحديث – قد تجاوز هذه القيمة الشكلية ؛ ليصبح نصًّا مصاحبًا ، أو نصًّا موازيًا **Le Paratexte** يؤسس للنص/ الكتاب شأنه في ذلك شأن العناوين وأسماء المؤلفين والإهداءات والخاتمات والحواشي وكل بيانات النشر من حيث تسييجه النص وإسهامه مثلها في

---

[1] – لسان العرب لابن منظور – سابق – ٤٦٤/١٢– ٤٦٨ – مادة قدم .
[2] – كتاب الصناعتين للعسكري – الكتابة والشعر – تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم – ط١٩٥٢/١م – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – ص ٤٣٧ .
[3] – المثل السائر لابن الأثير – سابق– ٢٣٧/٢ .
[4] – القلقشندي : صبح الأعشى– المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٥م – ٢٧٨/٦ .
[5] – المثل السائر – ٧٢/١ .

تحديد قيمته ([1]) وليس ذلك فحسب ،وإنما يسهم الخطاب المقدماتي في الكشف عن المكونات الفكرية للكاتب ورؤيته ووعيه المحايث لعملية التأليف والكتابة ([2]) .

كما تنتمي المقدمة إلى ما يُعرف بالعتبات النصية **Seuils** والنصوص المحيطة – عند جيرار جينيت – التي ترتكز على فلسفة حماية النصوص المؤلَّفة بصورة أساسية ، حيث تكفل للنص ألا يخرج إلى الوجود أو إلى المتلقي دون أن يكون ثمة صوتٌ يُعلِن عنه ويضمن له حق الوجود بين غيره من النصوص المؤلَّفة ؛ فإن من معاني الدالّة اللغوية : ***مقدمة*** أنها " طائفة من الألفاظ قُدِّمَتْ أمامَ المقصود لدلالتها على ما ينفع في تحصيل المقصود " ([3]) كما أنها تتكئ على وظيفة نصية بارزة هي" توجيه استراتيجيات الاستقبال لدى المتلقي وتحدد له مسارات التلقي "([4]) وتلك وظيفة نابعة من "الاعتبار التصديري والافتتاحي الذي تمتلكه المقدمة ، وهو اعتبار يمنحها سلطة توجيه القراءة " ([5]) ومن ثمة تعزيز الدور التفاعلي بين بين القارئ والنص .

ويتأكد أمر توجيه استراتيجيات استقبال التلقي ، وسلطة توجيه القراءة من خلال الوظيفة المركزية التي يلتزمها الاستهلال التأليفي – المقدمة التي يكتبها مؤلف الكتاب نفسه– وهذه الوظيفة هي " ضمان القراءة الجيدة

---

[1] – عبد الرزاق بلال : مدخل إلى عتبات النص . دراسة في مقدمات النقد العربي القديم . أفريقيا الشرق . المغرب ٢٠٠٠م . ص ٢١–٢٢ .

[2] – شعيب حليفي : هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل . ط١/٢٠٠٤م . المجلس الأعلى للثقافة . مصر . ص ٣٧

[3] – التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم– تقديم وإشراف د/ رفيق العجم – ط١/١٩٩٦م – مكتبة لبنان ناشرون – ٢/١٦٣٠ .

[4] – حسن محمد حماد : تداخل النصوص في الرواية العربية – سلسلة دراسات أدبية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م – ص ١٥٠ .

[5] – عبد الفتاح الحجمري : عتبات النص . البنية والدلالة . ط١/١٩٩٦م . شركة الرابطة . الدار البيضاء – ص ٤٠ .

للنص " ([1]) تلك القراءة التي ترتبط بالوظيفة السياقية الأخرى للاستهلال التأليفي أو مقدمة المؤلف ، وهي كون هذا الاستهلال التأليفي " مؤشرًا لفهم السياق الذي ينخرط فيه الكتاب ، ولا يمكن للقارئ فهمه بدونه ، فهو يضعه في حالة انتظار ؛ لأن الكتاب يُعدُّ جزءًا من مجموعة كتب لابد أن تُفهَمَ في سياقها العام " ([2]) .

ولقد تبوَّأ الخطاب المقدماتي – بهذا الاصطلاح – مساحة كبيرة من الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة ، تلك الدراسات التي انتبهت إلى أهمية هذا الخطاب ، وكانت الكثرة كفيلة أن تسلِّط الأضواء على هذا الفرع البحثي في اللسانيات المعاصرة ، صحيح أننا لم نعثر على دراسة واحدة تناولت موضوع كتابنا أو أي فصل من فصوله التي يتضمن عنوانها لفظ الغريب ([3]) إلا أن ذلك لا ينفي ضرورة الإشارة إلى تلك الدراسات التي تنوعت ما بين الكتب المؤلفة ، أو الرسائل الأكاديمية ، أو البحوث والمقالات المنشورة في الدوريات المتخصصة وغير المتخصصة .

---

[1] – عبد الحق بلعابد : عتبات جيرار جينيت . ط١/٢٠٠٨م . الدار العربية للعلوم . بيروت . ص ١١٨ .

[2] – عتبات جيرار جينيت – السابق ص ١٢٣ .

[3] – وفي الواقع أننا لم نقصر بحثنا على كتب الغريبين وحدها ، وإنما أحسب أن لي سبقًا آخر وهو دراستي التي قدمتها عن كتب أحكام القرآن الكريم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١ ـ ٥ ـ البنية والدلالة :

تتعلق البنية بالكل أو المجموع ، فالبناء هو الكل المتشكل من مجموعة من الجزئيات المتماسكة فيما بينها ، بحيث يبدو الشكل المتكون من هذه الجزئيات وكأنه لا جزئيات مكونة له بسبب غيابها في المجموع ، ذلك الغياب الذي لا يعني خفاء الدور ، وإنما يعني دخولها في علاقات متعاضدة لتشكيل الكل ، ومن ثمة فالبنية " هي بناء نظري للأشياء ، يسمح بشرح علاقاتها الداخلية ، وبتفسير الأثر المتبادل بين هذه العلاقات " (١) وعلى ذلك كانت النظرة إلى الخطاب المقدماتي على أنه بنية متشكلة من مجموعة من الجزئيات أو العناصر المتعالقة فيما بينها ، لترتسم من تعالقها ذلك البناء الكلي المعروف بالمقدمة .

وأما العناصر المكونة للخطاب المقدماتي ،فهي البنى الجزئية المكونة لهيكله مثل: بنية الاستهلال وبنية الموضوع ،ثم بنية الخاتمة ،وكل بنية من هذه البنى الجزئية تتشكل من مجموعة من التراكيب اللغوية التي تتعالق فيما بينها لتكون الكل ، ومن ثمة كان الشيء المهم في نسق المقدمة هو تلك العلاقات القائمة بين العناصر المكونة لها ، وهي علاقات قائمة على التكوين والتأليف ، فما بنية المقدمة إلا النتاج المترتب على تلك العلاقات أو التأليفات (٢) التي تشير إلى انتظام تلك العناصر وتآزرها وتكاملها ؛ لتؤسس هذا البناء المتجانس المعروف بالمقدمة .

نحن إذًا نقف أمام خطاب متكامل في عناصره البنائية التي يحمل كل منها مجموعة من الدلالات التي تؤشر على انتظام الخطاب الافتتاحي ، أو الخطاب الموازي الذي يفتح الطريق أمام المتلقي ؛ ليتعرف من خلاله على نصٍّ – متن الكتاب – وقف من خلال المقدمة على بعض مفاتيحه ،

---

[١] – الموسوعة الفلسفية العربية – إشراف د/ معن زيادة – ط١/١٩٨٦م – معهد الإنماء العربي ١٩٨/١ .

[٢] – د/ زكريا إبراهيم : مشكلة البنية – مكتبة مصر – القاهرة ١٩٩٠م – ص ٣٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وما يتبقى أمامه سوى أن يُقدم على قراءة النص / المتن ، أو العزوف عنه ، وهنا تأتي مُكنة المؤلفين في الدفع بالمتلقي نحو استكمال القراءة ، أو القناعة من الإناء بما لامس الشفاه .

وترتبط الدلالة بالمعنى ارتباط الترادف ، ودالّة في الآن عينه على العلم بالقصد استنادًا للمرجعية اللغوية للجذر دلل على الإرشاد والإعلام مِنْ قولهم : دلَّه على الطريق يدُلُّه دَلالةً ودِلالة ([1]) ومن ثمة يُستفاد من المعنى اللغوي أن الدلالة " هي التوصُّل إلى الشيء بإبانته وكشفه " ([2]) وهو ما سنقف عليه من درسنا لعناصر الخطاب المقدماتي في كتب أحكام القرآن الكريم ، حيث نجد لكل عنصر من تلك العناصر دلالاته المستفادة من البنية اللغوية ، مع ربطها بالسياقات الثقافية والاجتماعية .

[1] – لسان العرب لابن منظور – سابق – ٢٤٧/١١–٢٤٨ مادة دلل .

[2] – ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان– تحقيق وتصحيح محمد حامد الفقي – ط٢/١٩٧٥م – دار المعرفة – بيروت – ١١٥/١ .

الفصل الثاني

بنية الاستهلال

٢ ـ ١ ـ غريب القرآن

٢ـ ٢ ـ غريب الحديث

٢ـ ٣ـ كتب الغريبيْن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مدخل

درج المؤلفون القدامى على تصدير مؤلفاتهم بمقدمات كانوا يستعيضون فيها بـ ***خطبة الكتاب*** عن اسم المقدمة التي يذكرون فيها موضوع كتابهم والأسباب الداعية إلى تأليفه ، كما أنها " تتناول بشيءٍ من الإجمال الأسس التي يقوم عليها الكتاب ، والتي بدونها لا يمكن أن يُفهمَ تخطيطُ تأليفه " ([1]) ومن ثمة كانت المقدمة عتبة نصية بالغة الأهمية ؛ إذ من خلالها يلج القارئ إلى موضوع الكتاب ، حيث تقع المقدمة في منطقة وسطى بين عنوان الكتاب ومتنه ، لتمثل العتبة المباشرة لمواجهة نص المتن وكأنها تقوم بدور المُهيء الذي يهيء المتلقي للدخول إلى المتن من خلال ما تقدمه له من معلومات أو خطوط عامة أو مثيرات مبدئية تفتح شهيته القرائية ، ومن ثمة كانت مقدرة المؤلفين على استدراج المتلقي ، أو استنفاره لعدم البُعد عن الكتاب المقروء ، أو الشعور بالملل أثناء القراءة .

---

[1] – مجدي وهبة و كامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب – ط٢/١٩٨٤م – مكتبة لبنان – بيروت – ص ٣٨٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢ ـ ١ـ غريب القرآن :

يتعلق الاستهلال بالبدء والسبق ،وأول القول ،وهو يتنزل من الكتابة منزلة الوجه والغُرَّة ([1]) ومن ثمة كانت عناية العرب القدامى – بلاغيين ونقادًا – بأهمية الاستهلالات في الشعر أو النثر ؛ " إيمانًا منهم بقوة الأثر الأول في النفس ، وأنه يدفع السامع إلى التنبُّهِ والإصغاءِ إنْ كان جيدًا آسِرًا وإلى النفور والانصراف إنْ كان ضعيفًا فاترًا " ([2]) وكان من نصائحهم وإرشاداتهم التي كانوا يضعونها أمام كل كاتب ما ورد عند الشيباني [ت ٢٩٨هـ] في ***الرسالة العذراء*** " وليكن في صدور كتابك دليلٌ على مرادك ، وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك ، حيثما جريت فيه من فنون العلم ونزعتَ نحوه من مذاهب الخُطَب والبلاغات فإن ذلك أجزل لمعناك ، وأحسن لاتساق كلامك " ([3]) مما يتحقق معه السبك والحبك في اللسانيات النصية الحديثة ، وهو ما وجدناه عند أبي طاهر البغدادي [ت٥١٧هـ] في توجيهه الذي يقدمه للخطيب أو للكاتب البليغ صاحب الرسالة : " أن يكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه ، وأوله ملخصًا بآخره " ([4]) .

ومع جزالة المعنى وحُسْن اتساق الكلام ، كانت رؤية حازم القرطاجني [ت ٦٨٤هـ] لجمالية التجويد والتحسين في تلك الاستهلالات ؛ بسبب ما يُنتظر لها من الوظيفة التواصلية ؛ فإنّ جودة الاستهلالات والمطالع " تزيد النفس بحُسْنِها ابْتِهاجًا ونشاطًا لتلقي ما بعدها إنْ كان بنسبة من ذلك ، وربما غطَّتْ بحُسْنِها على كثير من التخوُّن الواقع بعدها إذا لم

---

[1] – القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة – ط٣/١٩٨٦م – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ص ٣٠٩ .

[2] – د/ أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب . نهضة مصر للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٩٦م . ص ٢٩٧.

[3] – الشيباني : الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة – تحقيق ودراسة د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب – دار الطلائع – القاهرة ٢٠٠٥م – ص ٤٨ .

[4] – البغدادي : قانون البلاغة في نقد النثر والشعر – تحقيق د/محسن غياض – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٠ – ص ١١٧.

يتناصر الحُسْنُ فيما وليها " ([1]) من كلام ، ولعل في توشيح الاستهلالات بالعبارات والتراكيب والألفاظ ذات المرجعية الدينية ما يشيع فيها من الرونق والبهاء ما يُعلي قدرها ويبرز قيمتها .

وما دمنا نتعامل مع مؤلفات من التراث العربي ،بل مؤلفات مرتبطة بأشرف الكتب وأعظمها /القرآن الكريم ،فإن علاقة المؤلفين بهذه المرجعية الدينية تبرز أوضح ما تكون مع خطاب المقدمة التي لابد لها من فاتحة أو استهلال ،مثلما كانت سورة الفاتحة بتلك التسمية في إجماع العلماء " لأنه تفتتح قراءة القرآن بها لفظًا ،وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطًّا ،وتفتتح بها الصلوات "([2]) لذلك كانت المقدمة . وهي فاتحة المؤلَّف المقروء . متضمنة بدورها فاتحة ،أوِ استهلالاً خاصة وأنها في حد ذاتها خُطبة الكتاب والخطبة لابد لها من مقدمة . تمهيد أو فاتحة . ارتبطت في التراث الإسلامي بمجموعة من المداميك اللفظية : البسملة – الحمدلة – التصلية .

والمراد بالبسملة البدء بـ ***بسم الله الرحمن الرحيم*** ؛ التزامًا بالأثر النبوي الذي ذكره الإمام النووي [ت ٦٧٦هـ] في كتاب ***الأذكار*** عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَع " ([3]) ومن ثمة استفاد الإمام النووي – رحمه الله – من القواعد والفوائد والمهمات المستفادة من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل " استحباب تصدير الكتب بـ بسم الله الرحمن الرحيم ، وإن كان المبعوث إليه كافرًا " ([4]) .

---

[1] – حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء – السابق – الموضع نفسه .

[2] – القرطبي : الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنّة وآيِ الفرقان – تحقيق د/عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط١/٢٠٠٦م مؤسسة الرسالة . بيروت . ١/١٧٢ .

[3] – النووي : الأذكار من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم – إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة الباز – ط١/١٩٩٧م – مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة ١/١٢٨ – الحديث رقم ٢٩٥ وقد عدّه النووي من الأحاديث الحسنة الصحيحة .

[4] – النووي : التلخيص شرح الجامع الصحيح للبخاري – تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي – ط١/٢٠٠٨م – دار طيبة – الرياض – السعودية ١/٤٢٠ .

ولم يكن أمر البدء بالبسملة بِدعًا في الثقافة العربية ، وإنما اتخذ خصوصيته الأخيرة من القرآن الكريم وأثره البيِّن في الثقافة العربية ؛ فقد ذكر أبو بكر الصولي [ت ٣٣٥هـ] أن العرب في الجاهلية كانوا يصدِّرون كتاباتهم بـ ***باسمك اللهم*** واستمر عليها النبي صلى الله عليه وسلم فترة من الزمن ، وعندما غيَّرهَا ، فإنما غيَّرَها إلى ***بسم الله*** اقتداءً بما ورد في سورة هود من **بسم الله مجراها ومرساها** في سياق قصة نوح عليه السلام ، فلما نزلت سورة **الإسراء** أخذ منها **بسم الله الرحمن** ، ولما نزلت سورة النمل وفيها **بسم الله الرحمن الرحيم** – في صدر رسالة سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ – أقرّها النبي صلى الله عليه وسلم بتمامها في كتاباته ورسائله إلى الملوك والأمراء ([1]) .

ولقد درج الكُتَّاب على كتابتها – البسملة – في صدر رسائلهم منذ بدأ النبي صلى الله عليه وسلم البدء بها " ليبارَكَ لهم فيما يحاولون ويؤجروا عليه " ([2]) ومن ثمة ذكر القلقشندي أنه " يجب تقديمها في أول الكلام المقصود : من مكاتبة أو ولاية أو منشور إقطاع ، أو غير ذلك ؛ تبركًا بالابتداء بها، وتيمُّنًا بذكرها " ([3]) لما تدل عليه من الاستعانة بالله تبارك وتعالى في كل الأمور .

وأما الحمدلة ،فالمراد بها التلفُّظ بنص **الحمد لله رب العالمين** ، وهو الثناء والمدح لله تعالى بما هو أهله ، وهو تعظيم له سبحانه وتعالى على عظيم نعمه ؛ ولقد سُبق لفظ الجلالة **الله** بحرف اللام الدال على الاختصاص ، وتفرد مَنْ تلزمه بما قبلها ، دون أن يشركه فيه غيره ، والوصف برب العالمين فيه " إضافة الربوبية المتضمنة لخلقهم وتدبيرهم وتربيتهم وإصلاحهم وجلْب مصالحهم وما يحتاجون إليه ودفع الشر عنهم

---

[1] – أبو بكر الصولي : أدب الكتَّاب – تصحيح وتعليق محمد بهجة الأثري – المكتبة العربية ببغداد والمطبعة السلفية – مصر ١٣٤١هـ – ص٣١ .

[2] – السابق ص٣٢ .

[3] – القلقشندي: صبح الأعشى ٢٢٢/٦.

وحفظهم مما يفسدهم "([1]) وقد جاءت الحمدلة في الخطاب المقدماتي استئناسًا بافتتاح القرآن الكريم بسورة الفاتحة المبدوءة بالحمد لله رب العالمين واستئناسًا – كذلك – بالرواية الأخرى للحديث النبوي الشريف : (**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ للهِ فَهُوَ أَقْطَع**) ([2]) أيْ : لا بركة فيه ولا خير يُرْجى من ورائه .

وصيغة الحمدلة تختلف من مقدمة إلى أخرى ، فالسجستاني [ت٣٣٠هـ] بعد البسملة يُحَمْدِلُ بقوله : " الحمد لله رب العالمين " ([3]) وكذلك فعل الراغب الأصفهاني [ت ٥٠٢هـ] حيث قال : " أعبدُ اللهَ وأحمَدُهُ ، وأذكُرُهُ وَأَشْكُرُهُ ، الحمد لله رب العالمين ([4]) وكذلك فعل الرازي [ت بعد ٦٦٦هـ] في كتابه **مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل** ([5]) حيث نجد هؤلاء المؤلفين قد اكتفوا بهذا المركب الخبري الدال خصوصية الحمد والثناء والشكر بالله سبحانه وتعالى ، ومن ثمة ذكر القرطبي [ت٦٧١هـ] : إنه " يجب على كلِّ مكلَّفٍ أنْ يعتقدَ أَنَّ الحمدَ على الإطلاق إنّما هو لله ، وأنَّ الألفَ واللامَ للاستغراقِ لا للعهْد ، فهو الذي يستحق جميع المحامد بأسرها " ([6]) .

---

[1] – ابن القيم : بدائع الفوائد . تحقيق علي بن محمد العمران . إشراف بكر بن عبد العزيز أبو زيد . دار عالم الفوائد . مجمع الفقه الإسلامي . جدة د . ت . ٧٧٩/٢ .

[2] – النووي : الأذكار ١٢٨/١ .

[3] – السجستاني : غريب القرآن المسمَّى : نزهة القلوب في تفسير القرآن العزيز – عناية لجنة من أفاضل العلماء – مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده – مصر ١٩٦٣م – ص٣ .

[4] – الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن – تحقيق صفوان عدنان داوودي – ط٢٠٠٩/٤م – دار القلم – دمشق – ص ٥٣

[5] – الرازي : مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل – تحقيق إبراهيم عطوة عوض – ط١٩٦١/١م – مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر – ص ١ .

[6] – القرطبي : الأسنى في شرح أسماء الله الحُسْنى – ضبط وشرح وتخريج أحاديث وتقديم د/ محمد حسن جبل ورفيقيه – ط١٩٩٥/١م – دار الصحابة للتراث – طنطا – مصر – ١٨٩/١ .

وهذه الصيغة الأثيرة للحمدلة نجدها كذلك عند الثعالبي [ت ٨٧٥هـ] في كتابه ***الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز*** ، حيث يقتصر عليها – الحمد لله رب العالمين ([1]) ورغم أن عنوان الكتاب لا يتضمن كلمة غريب أو الغريب أو الغرائب معرفة ومنكرة إلا أن المؤلف قد أشار في مقدمته إلى تفسير الغريب إلى جانب الإعراب الذي قصره على بعض آي القرآن الكريم لا كله .

وقد يكتفي بعض المؤلفين بالمركب الإسنادي الخبري الحمد لله ،ثم يأتي ببعض الصفات الأخرى غير رب العالمين ،كالذي رأيناه عند ابن قتيبة [ت ٢٧٦هـ] في **تأويل مُشْكِل القرآن** حيث يقول : " الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد ، وهدانا بنور الكتاب .... " ([2]) وإنما ذكرنا مقدمة المشكل دون كتاب الغريب ؛ لأن كتاب تفسير غريب القرآن " في حقيقة أمره متمم لمشكل القرآن " ([3]) وهو ما أكده ابن قتيبة نفسه بقوله : " وأفردتُ للغريب كتابًا ؛ كيْ لا يطول هذا الكتاب – المشكل – وليكون مقصورًا على معناه ، خفيفًا على من قرأه " ([4]) ولزيادة التأكيد من عندنا وجدنا مقدمة تفسير **غريب القرآن** بعد البسملة مبدوءة بقول ابن قتيبة : " نفتتح كتابنا هذا بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلا ، فنخبر بتأويلها واشتقاقها ... " ([5]) .

وكذلك قد ورد عند مكي بن أبي طالب [ت٤٣٧هـ] بعد البسملة والتأكيد على أن الله تعالى هو الذي يوفِّقُهُ :" الحمدُ للهِ وليِّ الحمْدِ وأهلِهِ

---

[1] – الثعالبي الجزائري : الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز ومعه فتح العزيز بتحقيق الذهب الإبريز لمحمد شايب شريف ، أبو بكر بلقاسم ضيف – ط١/٢٠١٨م – دار الكتب العلمية – بيروت – ص ٢١ .

[2] – ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن – شرحه تحقيق السيد أحمد صقر – دار إحياء الكتب العربية – مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٩٥٤م – ص ٣ .

[3] – السابق ص ١٣ من مقدمة المحقق . .

[4] – السابق ص ٢٥ من نص الكتاب .

[5] – ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن – تحقيق السيد أحمد صقر – دار الكتب العلمية – ١٩٧٨م – ص ٣ .

،والهادي الموفِّقِ له ،والمُنْعِمِ بِه ،حمدًا طَيِّبًا كثيرًا مُبَارَكًا فيه " (١) حيث أتى للفظ الجلالة بأربع صفات مرتبطة بالحمد وخلاصتها عرفانه بأن الله تعالى هو صاحب الحمد ، وأن الحامد لا يمكن أن يصل إلى مرحلة الحمد هذه إلا بهدْي الله تعالى وتوفيقِه وإنعامِه .

وقال ابن الجوزي [ت ٥٩٧هـ] بعد البسملة والثقة بالله : " الحمد لله على التوفيق لحمده " (٢) وهذا إيجاز شديد توجه فيه ابن الجوزي إلى حمد الله تعالى على مِنَنِه ،وقنع من هذه المنن التي لا تُعدّ ولا تُحصى بمنة توفيق الله له على الحمد ،إذعانًا منه أنه لولا توفيق له الله إياه لحمده ما كان له أن يحمده ، وهو اعتراف مُذعِنٍ نجده عنده كذلك في تفسيره " **زاد المسير في علم التفسير** " والإيجاز في العبارة نجده عنده في غير كتاب من كُتُبه، نذكر منها: **صيد الخاطر ،صفة الصفوة ،تلقيح فهوم أهل الأثر** .

ويفتتح ابن المنيِّر [ت ٦٨٣هـ] منظومته التيسير العجيب في تفسير الغريب بقوله (٣) :

الْحَمْدُ للهِ عَلَى الْكَمَالِ ... والشُّكْرُ للهِ علَى الإِفْضَالِ

دون أن يكون ثمة بسملة يقدمها بين يدي منظومته ، وعلى ذلك رجحنا أن يكون هذا البدء بـ " الحمد لله " إشارة إلى افتتاحية سورة الفاتحة ؛ لأنه بدأ تفسير الغريب من كلمة **رب** الواصفة للفظ الجلالة ، ثم تلاها بدالة العالمين في أول السورة (٤) أو أنه لم يقدِّم للمنظومة بمقدمة منثورة أو منظومة ، واكتفى بمطلع المنظومة .

---

١ – مكي بن أبي طالب القيسي : تفسير المُشْكِل من غريب القرآن – تحقيق د/ علي حسين البواب – مكتبة المعارف – الرياض – السعودية ١٩٨٥م – ص ١٩ .

٢ – ابن الجوزي : تذكرة الأريب في تفسير الغريب – تحقيق د/ علي حسين البواب – ط١/١٩٨٦م – مكتبة المعارف – الرياض – ٤٩/١ .

٣ – ابن المنيِّر : التيسير العجيب في تفسير الغريب – تحقيق سليمان ملا إبراهيم أُوغْلُو – ط١/١٩٩٤م – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ص ٢٧ .

٤ – السابق الموضع نفسه – البيت الثاني .

ولا يقنع النيسابوري القمي [ت ٧٢٨هـ] بمقدمة واحدة يقدمها لتفسيره المسمى : **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** (١) وإنما يأتي بمجموعة من المقدمات التي بلغت إحدى عشرة مقدمة بعد المقدمة الرئيسة التي جُعِلَتْ العتبة الأولى للكتاب ، تلك التي بدأها بالمقدمة الأولى وجعل عنوانها : " **فضل القراءة والقارئ وآداب القراءة ، وجواز اختلاف القراءات ، وذكر القرَّاء المشهورين المُعتبَرِين** " (٢) وختمها بالمقدمة الحادية عشرة وعنوانها " **في كيفة استنباط المسائل الكثيرة من الألفاظ القليلة** " (٣) .

وهو يفتتح المقدمة الرئيسة بالبسملة شأنه شأن السابقين جميعهم ، ثم يشذّ عنهم في الإبانة عن مقصده ، وتوجهه إلى الله تعالى في إبداع غرائب القرآن ، وإبداع رغائب الفرقان ثم يشرع في الحمدلة بقوله : " الحمد لله الذي جعلنا ممن شرح الله صدره للإسلام ؛ فهو على نور من ربه " (٤) ثم يصف نفسه مُعدِّدًا نِعَم الله تعالى عليه ؛ إذ وهبه النفس الأبيّة والهِمّة العالية المستأنسة بحب الله تعالى ، والمُتعفِّفَة عن سفساف الأمور ، ثم يشير إلى خوفه من المُهلكات وميله عن زخرف الدنيا وزينتها وكبحه زمام نفسه ، ثم ينتقل إلى امتداح السلف بما يسمهم من كريم الصفات وطيب الخلال التي تدور كلها في فلك إيمانهم بالله تعالى ، وسعادتهم بهذا الإيمان وهي صفات يبدو واضحًا فيها الأثر الصوفي على لغة النيسابوري .

وقال المارديني [ت ٧٥٠هـ] في ***بهجة الأريب*** بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : " الحمد لله الذي أنزلَ على عبْدِهِ الكتابَ ؛ لِيُنْذِرَ الطَّاغِينَ وَبِيلَ الْعَذَاب ، ويُبَشِّرَ الطَّائِعِينَ بجَزِيلِ الثَّواب " (٥)

---

١ – القمّي النيسابوؤي : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان – ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات – ط١/١٩٩٦م – دار الكتب العلمية – بيروت .

٢ – السابق ٨/١ .

٣ – السابق ٥٥/١ .

٤ – السابق ٣/١ .

٥ – المارديني : بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب – تحقيق د/ ضاحي عبد الباقي – دار ابن قتيبة– الكويت – د. ت – ص ٢٥ .

حيث نراه قد أتى بعد المركب الإسنادي ***الحمد لله*** بثلاث جمل أولاها صلة الموصول الوصفي للفظ الجلالة ، وقد خصَّ دلالتها بإنزال الكتاب – القرآن الكريم – على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاءت الجملتان : الثانية والثالثة مرتبطتين بالأولى ارتباط التعليل أو السببية باعتبارها " إحدى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني " (١) والمنتجة في الآن عينه لسبك النص وحبكه أو انسجامه .

وإذا نظرنا في تلك الجمل الثلاثة ، وجدناها تترابط إيقاعيًّا من خلال بنية السجع الذي يُعَرِّفه ابن الأثير بأنه " تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرفٍ واحد " (٢) وهو هنا الباء المسبوقة بألف الردف المُعِينة على امتداد الصوت مما يعني الكثافة الصوتية التي لا تقنع بتكرار الحرف الأخير وحده ، مما يعطي بُعدًا واضحًا للإيقاع الموسيقي الذي ينتجه تواطؤ الفواصل وانسجام الأصوات في نهاية الفواصل إلى جانب وظائفه التواصلية ؛ من حيث رعاية حال المتلقي وإعانته على حفظ النص ، فإن في سجع الكلام لذةً للسامع ، ومن ثمة سهولة في الحفظ ومرونة في الاستعمال وبالضدِّ من ذلك كله غير المسجوع (٣) .

واللذة في المسجوع قيمة جمالية ، وثمة قيمة حجاجية يؤديها السجع والكلام الموقع عامة ذلك أن سهولة حفظه تستدعي كثرة ترديده ، وفهمه وتدبره وبالتالي براعة استدعائه في السياقات المناسبة ، كما أن توقيع الكلام وتوازنه يكاد يكون حجة على صدقه " (٤) وعندما سُئل عبد الصمد بن الفضل الرقاشي عن علّة إيثاره السجع وإلزام نفسه الوزن والقوافي ، أجاب : "

---

١ – د/ مصطفى حميدة : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية – ط١/١٩٩٧م – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – ص ١٧٦ .

٢ – ابن الأثير : المثل السائر – سابق – ١٩٣/١ .

٣ – ابن جني : الخصائص – تحقيق محمد علي النجار – دار الكتب المصرية – المكتبة العلمية –١٩٥٢م – ٢١٦/١ .

٤ – د/ محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي – مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية – ط٢/٢٠٠٢م – أفريقيا الشرق – المغرب .

إنَّ كلامي لو كنتُ آمل فيه إلاّ سماع الشاهد ، لقلَّ خلافي عليك ، ولكني أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ؛ فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد ، وبقلّة التفلُّت ، وما تكلَّمتْ به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلَّمَتْ بهِ من جيد الموزون ، فلم يُحفظ من المنثور عُشْرُهُ ، ولا ضاع من الموزون عُشْرُهُ " (١) .

وقال حسين بن علي بن عبد الجبار اليوناني [ت القرنين ٨ ، ٩هـ] بعد البسملة والحوقلة : " الحمد لله الذي هدانا إلى دين الإسلام ، وأرشدنا إلى العلوم الدينية بين الأنام " (٢) ثم أخذ في تعداد نِعم الله تعالى عليه وعلى الخلق أجمعين .

وقال المهايمي [ت ٨٣٥هـ] في تفسير القرآن المُسمَّى **تبصير الرحمن وتيسير المنَّان** : " **الحمد لله الذي أنار بكلامه قلوب أولي الألباب** ؛ ليبصروا به مع عقولهم طريق الصواب " (٣) وقد جاء بالاسم الموصول الوصفي وقصر صلة وصله على أثر الكلام – القرآن الكريم – في إنارة قلوب العقلاء ، وأتى بالجمل التعليلية لهذه الإنارة .

وقال الشيخ فخر الدين الطريحي [ت ١٠٨٥هـ] في **تفسير غريب القرآن** : " الحمد لله الذي جعل القرآن وسيلة إلى أشرف منازل الكرامة ، وسُلَّمًا نعرُجُ فيه إلى محلِّ السلامة ، وسببًا نرجو به النجاة في عرصة القيامة ، وذريعة نَقْدُمُ بها دار المُقامة " (٤) حيث نجده قد جعل الاسم

---

١ – الجاحظ :البيان والتبيين . تحقيق عبد السلام هارون . ط١/١٩٤٢م . لجنة التأليف والترجمة والنشر . مصر . ١/٢٨٧ .

٢ – اليوناني :عجائب الفرقان في غرائب القرآن – ماجستير – دراسة وتحقيق هيفاء محمد موسى حلايقة – كلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الخليل – ص ٤٠ .

٣ – المهايمي : تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان وبهامشه نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني – ط٢/١٩٨٣م – عالم الكتب – بيروت – طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٢٩٥هـ – ٢/١ .

٤ – الطريحي : تفسير غريب القرآن – تحقيق وتعليق ونشر محمد كاظم الطريحي – المطبعة الحيدرية – النجف – ص٤ .

الموصول وصفًا للفظ الجلالة ، وجعل صلة الموصول ، وما تلاها من الجمل المسجوعة مرتبطة بالقرآن الكريم .

ولا يأتي الأمير الصنعاني [ت ١١٨٢هـ] في **تفسير غريب القرآن** باسم الموصول الواصف للفظ الجلالة ، وإنما يأتي بالمصدر السادّ مسدَّ الحال ***وحده*** ، فيقول بعد البسملة ، ودعاء الله الكريم سبحانه وتعالى بالتسهيل : " الحمد لله وحده .... " ([1]) وهذا مما يتناسب والإيجاز الشديد الذي وردت عليه مقدمة الأمير الصنعاني .

ومع الْتزام الكرماني [ت٥٠٥هـ] بالإطار العام للاستهلال في المقدمة ،إلا أن استهلاله أتى مخالفًا لمن قبله ومَنْ بعْدَه ، فهو يستهلّ مقدمته بعد البسملة والدعاء ،بقوله :" نبدأ باسم الله ونحمده، ونعبده ونستعينه ونستهديه "([2]) وكلها تراكيب فعلية آنية تستدعي دلالة التجدد والاستمرار مع اختلاف البنية بين الفعل **نفعل** ،وطلب الفعل **نستفعل** .

ويقول ابن الهائم [ت ٨١٥هـ] في كتابه **التبيان في تفسير غريب القرآن** : " أَمَّا بَعْدَ حمْدِ اللهِ مَوْلَى النِّعَم ، والمُوَفِّق لأَقْوَمِ اللَّقَم " ([3]) وهذه الحمدلة على إيجازها الشديد قد نبَّهتْ إلى طريقة الخروج ،أو الانتقال ،أو براعة التخلص عند البلاغيين والنقاد القدامى ،الانتقال والتخلص من البسملة ورديفتها التعبيرية وهي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحمدلة التي يجيء فيها بالمصدر المجرد من ***ال*** ومضافًا في الآن عينه إلى لفظ الجلالة ،وهي صورة تعبيرية لم نعهدها فيما سبقه من الخطاب المقدماتي لكتب الغريب التي عرضنا لها ،ثم يأتي للفظ الجلالة بوصفين اثنين يربط

---

[1] – الصنعاني : تفسير غريب القرآن – تحقيق وتعليق وضبط محمد صبحي بن حسن حلاق – ط١/٢٠٠٠م – دار ابن كثير – دمشق – ص ٥٠ .

[2] – الكرماني : غرائب التفسير وعجائب التأويل – تحقيق د/ شمران سركال يونس العجلي – مؤسسة علوم القرآن – بيروت ١٩٨٨م – ٨٧/١ .

[3] – ابن الهائم : التبيان في تفسير غريب القرآن – تحقيق د/ ضاحي عبد الباقي محمد – ط١/٢٠٠٣م – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ص ٤٣ .

بينهما بآلية السجع المنتجة للقيم الدلالية والإيقاعية ،حيث ينسب النعم كلها إلى الله تعالى ،ثم يعطف عليها نعمة خاصة وهي الهداية لأقوم اللقم . وسط الطريق . والمراد الصراط المستقيم من عطف الخاص على العام ؛ للتأكيد والتنبيه على الخاص .

والجدَّة فيما أتى به ابن الهائم مما عرضنا له من مقدمات كتب الغريب القرآني من قبْلُ ، وهو آلية التخلص ووسيلته وهي فصل الخطاب ، العبارة الأثيرة ***أمَّا بعْد*** تلك التي جاء بطرفيها معًا ، وقد قيل عنها : إن " أول مَنْ نطق بها مِنَ البلغاء آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ [البقرة ٣١] ومن جملتها أمَّا بعدُ " ([1]) وقيل: إنّ نبيَّ الله داود عليه السلام هو أول من قالها، ورُوِيَ أن أول من قال بها كعب بن لؤي ([2]) وقيل: وقيل: قس بن ساعدة عندما أوصى ولده فذكر الله ثم قال: أما بعد ([3]) وقد سُمِّيت هذه العبارة فصل الخطاب ؛ لأنها " يُفصَل بها بين الخطاب المتقدم وبين الخطاب الذي يجيء بعد " ([4]) فهي فاصل بين البسملة والحمدلة ، أو أنها يُؤتَى بها " للانتقال من غرض أيْ : معنًى مقصود للمتكلم ، إلى غرضٍ آخر ، أيْ : مغاير للأول "([5]) .

وفصل الخطاب ***. أما بعد .*** يتكون من شِقَّين أو طرفيْن : أولهما: ***أمَّا*** وهي" بمعنى مهما الشرطية ولا تعمل عملها ، ويكون فيها معنى التفصيل " ([6]) وثانيهما ***بعْدُ*** وهي مِنَ " الظروف المبنية على الضم المنقطعة

---

[1] – الجوهري: إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أمّا بعد – تحقيق أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي – ط١/٢٠١١م – المكتبة العصرية – بيروت – ص ٣٢.

[2] – الصولي: أدب الكُتَّاب . سابق . ص ٣٦ ، وكعب بن لؤي بالملقَّب بأبي هصيص هو الجد السابع لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

[3] – أبو هلال العسكري: الأوائل – ص ٦٨.

[4] – السابق ص ٣٧.

[5] – الجوهري: إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أما بعد – ص ٣٠.

[6] – المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني – تحقيق د/ أحمد محمد الخراط – ط٣/٢٠٠٢م – دار القلم – دمشق – ص ١٨١.

عن الإضافة " ([1]) وهي قد تكون للزمان أو للمكان بحسب ما تُضافُ إليه ، "ويصحُّ اعتبارهما . أيْ : ظرفا الزمان والمكان . في الواقع في صدر الكُتُب، فهو زماني باعتبار زمن النطق، ومكاني باعتبار مكان الرقم " ([2]) ومعنى تركيبِ فصل الخطاب هذا الذي يأتي في ابتداء الكتب والرسائل " مهما يكن من شيءٍ بعد حمد الله " ([3]) .

ولفصل الخطاب قيمة بلاغية ؛ لأنه يدخل في الأركان التي لابد منها لكل كتاب تُرجَى له قيمة ، ومن هذه الأركان " أن يكون خروج الكاتب من معنًى إلى معنًى برابطة ؛لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ، ولا تكون مقتضبة ([4]) وذلك ما يُعرف في البلاغة العربية بالتخلص والاقتضاب، والاقتضاب، وهو" أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه، ويستأنف كلامًا آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك، ولا يكون للثاني علاقة بالأول " ([5]) أما فصل الخطاب ***أما بعدُ*** ، فإنه يدخل في باب التخلص أو يقرب منه ، يقول ابن الأثير: " والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أما بعدُ ؛ لأن المتكلم يفتتح كلامه في كل أمرٍ ذي شأن بذكر الله وتحميده ، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه ، فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله **أما بعدُ** " ([6]) .

وينتقل أو يتخلص ابن قَطْلُوبُغا الحنفي [ت ٨٧٩هـ] في مقدمة كتابه ***تحفة الأريب بحل ما في القرآن من الغريب*** إلى الحمدلة مستخدمًا فصل الخطاب ، فيقول : " أمّا بعْد حمدًا لله على نواله " ([7]) ليأتي بعدها

---

[1] – الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو . تحقيق د/ المتولي الدميري . ط٢/١٩٩٣م . مكتبة وهبة . القاهرة . ص ٤٧.

[2] – الجوهري: إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أما بعد . سابق . ص ٥٣.

[3] – المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني ص ١٨٢.

[4] – ابن الأثير: المثل السائر ٧٢/١ .

[5] – ابن الأثير: المثل السائر . السابق ٢٥٩/٢ .

[6] – السابق ٢٧٥/٢ .

[7] – ابن قَطْلُوبُغا : تحفة الأريب بحل ما في القرآن من الغريب – ص ١ .

بصيغة الحمدلة الشديدة الإيجاز عندما بدأ بالمصدر المنصوب وقد حذف عاملَ نصبه ، والأصل فيه : الحمد لله حمدًا ، أو أحمد اللهَ حمدًا ، ولعل ما في المقدمة من إيجاز على هذا النحو إنما مرجعه إلى تأثره بأسلوب أبي حيان الأندلسي ، حيث نقل ابن قطلوبغا كتاب أبي حيان ***تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب*** ، وإن خالفه في ترتيب المواد اللغوية حيث لجأ الأندلسي إلى نظام الباب والفصل ، بينما لجأ ابن قطلوبغا إلى نظام الألِف باء في ترتيب تلك المواد (١) .

ويأتي بعد **الحمدلة** من المداميك اللفظية التي يتضمنها الاستهلال في بنية الخطاب المقدماتي لكتب غريب القرآن الكريم **التصلية**، والمراد بها التلفُّظُ بالصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد في فضلها من الأحاديث النبوية الشريفة ما يجعلها واجبة على المسلمين ، خاصة وقد ورد في السنة النبوية تحذير المجالس التي لا يُذكر فيها الله سبحانه وتعالى ، ولا يُصلَّى فيها على النبي صلى الله عليه وسلم (٢) أما كتابتها في صدر الكتب والرسائل ، فقد قال الصولي : " وكان التصدير ينتهي إلى قوله : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، إلى أن أفضت الخلافةُ إلى الرشيد ، فأمر أن يُزادَ فيه : وأسأله أنْ يُصلِّيَ على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم " (٣) .

وبقراءة تلك المقدمات لما عرضنا له من كتب الغريب القرآني ، وجدنا منازع المؤلفين مختلفة في النص على صيغة التصلية ، فمنهم مَنْ يكتب : ***صَلَّى اللهُ على سيدنا محمد*** مثل السجستاني في كتابه **نُزهة القلوب في تفسير القرآن العزيز** (٤) وكذلك الخزرجي [ت ٥٨٢هـ] في كتابه

---

١ – ابن قطلوبغا – السابق ص ٣٧ من المقدمة .

٢ – القاضي : فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني . ط٢/١٩٦٩م . المكتب الإسلامي . دمشق ، بيروت . ص ٥٣– ٥٤ .

٣ – الصولي : أدب الكتاب – سابق – ص ٤٠ .

٤ – السجستاني : نزهة القلوب في تفسير القرآن العزيز – سابق – ص ٣ .

نَفَس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه [1] والثعالبي الجزائري [ت ٨٧٥هـ] في كتابه ***الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز*** [2] .

ومنهم مَنْ يكتُب ***صلى الله على محمد*** مثل مكي بن أبي طالب [3] ومَنْ يكتب ***الصلاة والسلام على سيدنا محمد*** مثل الماردِيني في **بهجة الأريب** [4] وابن قطلوبغا في كتابه **تحفة الأريب بحل ما في القرآن من الغريب** [5] ومنهم من يكتب ***والصلاة والسلام على محمد*** كابن الهائم في **التبيان في تفسير غريب القرآن** [6] وورد عند الراغب الأصفهاني في مفرداته : ***والصلاة على خير خلقه*** [7] وقال الكرماني في تفسيره : " ونصلي ونصلي على محمد خير البرية وعلى آله ونُسلِّم تسليما " [8] .

وقال ابن الجوزي : " وصلى الله على رسوله وعبده محمد وآله وجُنْدِه " [9] حيث يضيف على المخصوصين بالصلاة جُنْدَ رسول الله صلى صلى الله عليه وسلم ، رغم كونهم متضمنين تحت مدلول الصحابة رضي الله عنهم ، ويأتي النيسابوري بعد حمد الله بصيغة جديدة للتصلية لم نعهدها

---

[1] – الخزرجي : نَفَس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه – دراسة وتحقيق محمد عز الدين المعيار الإدريسي – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ١٩٩٤م – ١٦٣/١ .

[2] – الثعالبي الجزائري : الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز – تحقيق محمد شايب شريف و أبو بكر بلقاسم ضيف – ط١/٢٠١٨م – دار الكتب العلمية – بيروت ص ٢١ .

[3] – مكي بن أبي طالب : تفسير المشكل من غريب القرآن – سابق – ص ١٩ .

[4] – الماردِيني : بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب – سابق – ص ٢٥ .

[5] – ابن قطلوبغا : تحفة الأريب بحل ما في القرآن من الغريب – سابق – ص ١ .

[6] – ابن الهائم : التبيان في تفسير غريب القرآن – سابق – ص ٤٣ .

[7] – الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن – سابق – ص ٥٣ .

[8] – الكرماني : غرائب التفسير وعجائب التأويل – سابق – ٨٧/١ .

[9] – ابن الجوزي : تذكرة الأريب في تفسير الغريب – سابق – ٤٩/١ .

من قبله ومن بعده ؛ إذ يقول : " والصلاة والسلام على عبيدك المخصوصين بتأييدك ..... " (١) ورغم انصراف الدلالة هنا إلى الأنبياء السابقين ، إلا أن عموم الدلالة وخصوص الإضافة التشريفية ، توسع مدلول العبيد ، ولا تقف بهم عند الأنبياء وحدهم ، ثم يأتي لهم بكثير من الخصال الحميدة التي وهبهم الله تعالى إياها ، ثم يخص المصطفى محمدًا الذي أشرق في سماء النبوة بدرًا ، ويُعدِّد من صفاته وكريم خلاله ، ويختم حديث التصلية بقوله : " صلى الله عليه وعلى آله مفاتيح الجنة وأصحابه مصابيح الدجنة وسلِّم تسليمًا كثيرًا " (٢) .

---

١ – النيسابوري : غرائب القرآن ورغائب الفرقان – سابق – ٤/١ .

٢ – السابق : الموضع نفسه .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ـ ٢ ـ غريب الحديث :

في سياق بنية الاستهلال وجدنا مؤلفي غريب الحديث النبوي يحرصون على بدء مقدمات كتبهم بالبسملة – شأنهم في ذلك شأن مؤلفي غريب القرآن الكريم – إلا منْ شذّ منهم ، ولم يكن ذلك بدافع من هؤلاء المؤلفين الذين لم ترد مقدماتهم مسبوقة بالبسملة ، وإنما يبدو أن السبب في سقوط البسملة هو عدم وجود مقدمة للكتاب بصورة أو بأخرى ، وقد يرجع السبب في عدم وجود المقدمة إلى سقوطٍ ونقصٍ في أوراق المخطوط الذي أُخذ منه الكتاب ، أو إلى ضياع بعض أجزاء منه كالذي نراه مع كتاب غريب الحديث للإمام أبي إسحاق إبراهيم الحربي [ت ٢٨٥هـ] الذي لم يبقَ منه إلا المجلدة الخامسة ، في حين ضاعت المجلدات الأربعة الأولى أو فُقِدَتْ (١) وأما البسملة الموجودة في صدر النص المحقق ، فيبدو أن ذلك من عمل مُحقِّق الكتاب (٢) .

ولم يقف تدخُّل المحقِّق بوضع البسملة وحدها فحسب ، وإنما عمد بعض المحققين إلى وضع عناوين على النص المحقَّق كالذي نراه في كتاب تفسير غريب الموطأ لمؤلفه عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي [ت ٢٣٨هـ] حيث خلا النص المحقَّق من المقدمة ، ومن ثمة لا توجد بسملة بين يدي النص الذي يبدأ بعنوان : ***شرح غريب كتاب وُقُوت الصلاة من موطأ مالك بن أنس رحمه الله*** ، وقد أشار المحقِّق في الهامش إلى أنه قد وضع كثيرًا من العنوانات بسبب إهمال الناسخ لوضع عناوين لبعض الكتب دون البعض الآخر (٣) .

---

١ – الحربي : غريب الحديث – المجلدة الخامسة – تحقيق ودراسة د/ سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد – ط١/١٩٨٥م – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع – جدة – السعودية ٥/١ من مقدمة المحقِّق .

٢ – السابق ٣/١ من النصِّ المحقَّق .

٣ – السلمي : تفسير غريب الموطأ – حققه وقدّم له د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين – ط١/٢٠٠١م – مكتبة العبيكان – الرياض — ١٧١/١ وانظر الهامش رقم ٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولأن الباء في البسملة للإلصاق ، فإنها " متعلقة بفعلٍ ، والتقدير : باسم الله أشرع في أداء الطاعات ([1]) والكتابة والتأليف في العلوم الدينية خاصة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من أجل العبادات وأعظم الطاعات ؛ ولذلك حرص – كما سيرد – كثير من مؤلفي غريب الحديث على الدعاء بإخلاص عمل التأليف لله تبارك وتعالى .

ولقد تفنن مؤلفو غريب الحديث النبوي الذين اعتمدناهم هنا لموضوع بحثنا ، فيما يُردفُون البسملة به ، حيث عمد بعضهم إلى إردافها بالحمد لله رب العالمين ، كالذي رأيناه من أبي عُبَيْد القاسم بن سلام الهروي في النسخة التي اعتمدناها من كتابه **غريب الحديث** ، حيث ابتدأ المقدمة بقوله : " بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم ، وكان فضله عليه عظيمًا " ([2]) وأما النسخة الثانية ، فقد أتبع البسملة بالحمدلة ، وذلك قوله : " بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ، وبه نستعين ، وصلَّى الله عليه وسلم " ([3]) وكذلك أردف السرقسطي [ت ٣٠٢هـ] البسملة بالصلاة على النبي حيث يقول : " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد ، وعلى آله وسلّم " ([4]) .

فقد اتفق المؤلفان على بدء الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالفعل الماضي ، كما اتفقا على ذكر اسم النبي محمد وآله في دعاء الصلاة ، بينما اختلفا في الحديث عن النبي محمد ؛ إذ قدَّم ابن سلام الهروي لفظة سيدنا ؛ تأدبًا ، كما زاد ابن سلام على السرقسطي الدعاء لصحابة رسول الله

---

[1] – الرازي : تفسير الفخر الرازي – ط١/١٩٨١م – دار الفكر – بيروت – ١٣/١ .

[2] – أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي : غريب الحديث – تحقيق د/ حسين محمد محمد شرف ، ومراجعة عبد السلام محمد هارون – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – مصر ١٩٨٤م – ١/١ من النص المحقق .

[3] – القاسم بن سلام الهروي – غريب القرآن – ط٢/٢٠٠٣م – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣/١ .

[4] – السرقسطي : الدلائل في غريب الحديث – تحقيق د/ محمد بن عبد الله القناص – ط١/٢٠٠١م – مكتبة العبيكان – الرياض – السعودية – ١/١ .

صلى الله عليه وسلم . وممن أردف البسملة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم القاضي عياض [ت ٥٤٤هـ] حيث قال في مشارق الأنوار على صحاح الآثار : " بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله علي سيدنا محمد النبي الكريم " (١) حيث قنع بالصلاة على النبي وحده صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالنبي الكريم ، دون أن يزيد في نص الصلاة بالدعاء لآله وصحبه صلى الله عليه وسلم .

وقد جمع التلمساني [ت ٦٢٥هـ] بين البسملة والاستعانة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في صدر خطابه المقدماتي لكتاب **الاقتضاب في غريب الموطّأ وإعرابه على الأبواب** ، وذلك عندما قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه أستعين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم " (٢) حيث جاءت جملة الاستعانة بالله تعالى ، وكذلك جملة الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم – في بنيتها السطحية خبرية ، منتجة في بنيتها العميقة للدعاء ، فهي خبرية من حيث اللفظ ، إنشائية من حيث المعنى .

وعمد البعض إلى إرداف البسملة بالحوقلة كابن قتيبة الذي يقول : " بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم " (٣) أو إلى الحسبنة مثل السمعاني [ت ٤٥٠هـ] الذي قال : " بسم الله الرحمن الرحيم ، حسبي الله وكفى " (٤) ومثل ذلك ورد عند ابن إسماعيل الفارسي [

---

١ – القاضي عياض : مشارق الأنوار على صحاح الآثار – حققه وخرّج أحاديثه صالح أحمد الشامي – ط٢٠١٨/٢م – دار القلم – دمشق – ٣١/١ .

٢ – التلمساني : الاقتضاب في غريب الموطّأ وإعرابه على الأبواب – حققه وقدّم له وعلّق عليه د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين – ط٢٠٠١/١م – مكتبة العبيكان – الرياض – ٣/١ من النص المحقق .

٣ – ابن قتيبة : غريب الحديث – سابق – ١٤٧/١ .

٤ – السمعاني : مجموع غرائب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم – تحقيق محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود – نادي مكة الثقافي الأدبي – ١٤٢٨هـ – ١/١ من النص المحقق .

ت ٥٢٩هـ] الذي قال : " بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي وكفى " (١) وبين الحوقلة والحسبنة ، رابط دلاليّ يتمثل في إبراز الذلة والضعة والعبودية لله تبارك وتعالى ، مع إفادة التوكُّل عليه سبحانه وتعالى ، وهو ما وجدناه عند الزمخشري [ت٥٣٨هـ] في قوله بعد البسملة : " وما توفيقي إلا بالله عليه توكَّلْتُ وهو رب العرش العظيم " (٢) وهو يلجأ فيه إلى أسلوب القصر توكيدًا للدلالة وتخصيصها ؛ بغية الدعاء في البنية العميقة للقصر .

وإرداف البسملة بالدعاء نجده عند الخطابي [ت ٣٨٨هـ] في غريب الحديث ؛ إذ يقول بعد البسملة " ربِّ يَسِّرْ ولا تُعَسِّر " (٣) مستعينًا في دعائه بما للغة من جماليات الحذف مع النداء وإيقاعية الجناس الصوتية في الفعلين : يسِّرْ ، لا تُعَسِّرْ ، ويقول النيسابوري [ت ٥٥٣هـ] بعد البسملة : " ربِّ سهِّلْ وتَمِّمْ بالخير " (٤) .

وإرداف البسملة بالتوكل على الله سبحانه تعالى والاستعانة به نجده – كذلك – عند ابن قُرْقُول [ت ٥٦٩هـ] في قوله مصدر مقدمة كتابه مطالع الأنوار على صِحاح الآثار: " بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه أستعين ،وعليه أتوكَّل ،وإيَّاه أسأل التوفيق والمعونة "(٥) وتلك ثلاث جمل تشير بنيتها السطحية إلى الإخبار بمراد الكاتب ،في حين تستدعي بنيتها العميقة الدعاء والتضرُّع إلى الله سبحانه وتعالى ،ومن ثمة تكون خبرية اللفظ إنشائية

---

١ – الفارسي : مجمع الغرائب ومنبع الرغائب – ماجستير – دراسة وتحقيق من إعداد الطالب عبد الله ناصر بن محمد القرني – من أول الكتاب إلى نهاية باب الثاء – جامعة أم القرى – مكة المكرمة ١٩٨٩م – ص ٢ .

٢ – الزمخشري : الفائق في غريب الحديث – تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم – ط٢/١٩٧١م – مكتبة البابي الحلبي – مصر – ١١/١ .

٣ – الخطابي : غريب الحديث – سابق – ٤٦/١ .

٤ – النيسابوري : جُمل الغرائب – تحقيق ودراسة – دكتوراة من إعداد خالد الأكوع – جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية – قسم الدراسات العليا – فرع اللغويات – ص ١ .

٥ – ابن قُرْقُول : مطالع الأنوار على صِحاح الآثار – تحقيق دار الفلاح– ط١/٢٠١٢م – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – دولة قطر – ١٤٥/١ .

المعنى للدعاء ،وكذلك نجد الدعاء بعد البسملة عند أبي الفرج ابن الجوزي [ت٥٩٧هـ] الذي يقول بعد البسملة : " ربِّ سهِّلْ وَأَعِنْ يا كريم " (١) .

الحمدلة :

وأما الحمدلة ، فقد ذهب مؤلفو غريب الحديث في ذكرها في مقدمات كتبهم مذاهبَ ، من حيث الأسلوب ، والمضمون ، والمساحة التي تشغلها ، منهم مَنْ بدأ الحمدلة بالمركب الفعلي الموظِّف لآنية الزمن الدالة على التجدد والاستمرار كابن الأثير الذي يقوله في ***النهاية في غريب الحديث والأثر***: " أَحْمَدُ اللهَ على نِعَمِهِ بجميع مَحَامِدِه ، وأُثْني عليه بآلائِهِ في بادئِ الأمرِ وعائدِه ، وأَشْكُرُهُ على وافر عطائه ورافدِه ، وأعْترِفُ بِلُطْفِهِ في مصادر التوفيق ومواردِه " (٢) .

فقد بدأ بالجملة الفعلية أحمد الله ، وأتبعها بثلاث معطوفاتٍ فعلية ، ينتمي الأولى والثانية منها مع جملة البدء إلى حقل دلالي واحد مع شيء من الترادف الدلالي الحامل لبعض الفروق اللغوية ، فالحمد لله تبارك وتعالى هو : " تعريفه وتوصيفه بنعوت جلاله وصفات جماله ، وسمات كماله الجامع لها ، سواء كان بالحال أو بالمقال " (٣) .

والثناء من الثَّني وهو التكرار المرة بعد المرة ، وقيل الثناء هو الكلام الجميل والذكر بالخير ، وقيل هو الإتيان بما يُشعِر التعظيم مطلقًا سواء كان باللسان أوز بالجنان ، أو بالأركان وسواء كان في مقابلة شيءٍ أوْ لا ، فيشمل الحمد والشكر والمدح " (٤) والشكر يرتبط بجزاء النعمة ،

---

١ – ابن الجوزي : غريب الحديث – وثّق أصوله ، وخرّج أحاديثه وعلّق عليه د/ عبد المعطي أمين قلعجي – ط١/٢٠٠٤م – دار الكتب العلمية – بيروت – ١/ ١ .

٢ – ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر – تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي – ط١/١٩٦٣م – نشر المكتبة الإسلامية – القاهرة – ٣/١ .

٣ – الكفوي : الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية – أعدّه للطبع ووضع فهارسه د/ عدنان درويش ورفيقه – ط٢/١٩٩٨م – مؤسسة الرسالة – ص ٣٦٨ .

٤ – السابق ص ٣٢٤ .

والعرفان بالإحسان ([1]) ومن ثمة كان عطف جملتيْ أُثني وأشكر على الجملة الأولى أحمد من عطف الخاص على العام ، تنويعًا في الصياغة وتوكيدًا للدلالة .

كما أتى ابن الأثير بالمركب الفعلي نفسه في كتابه ***منال الطالب*** حيث قال : " أحمد اللهَ على نعمِهِ حقَّ حمْدِهِ ، وأُثْنِي عليه بآلائِه إلى منتهى الوُسْعِ وجُهْدِه ، حمْدَ مَنْ جعلَ الإخلاصَ غايةَ قصْدِه ، والتوفيق قرين خطئِهِ وعَمْدِه " ([2]) وفيه اكتفى بفعليْ الحمد والثناء ، وإن ارتبط الحمد هنا بدلالالة الشكر لتعلُّقه بالنِّعَم ، وارتبط – كذلك – بدالة الثناء – ارتباطًا ترادفيًّا منتجًا لتوكيد الدلالة ، ذلك التوكيد الذي نلمحه في استخدام المصدر المبين للنوع ، وربطه بمَنْ الْتَزَمَ الإخلاص وطلب التوفيق .

ومِنْ مُؤلفي غريب الحديث مَنْ يُتبع لفظ الجلالة بصفاتٍ لله سبحانه وتعالى كابن قتيبة الذي يقول: " الحمد للهِ أهلِ الحمْد ووليه ،والهادي إليه والمُثيبِ به، أحمده بأرضَى الحمدِ له وأزكاه لديه ،على تظاهُر آلائه ،وجميلِ بلائه . حمدًا يُكافي نِعَمَه ،ويُوافي مِنَنَه ،ويُوجِبُ مزيدَه "([3]) حيث نجده يبدأ بهذا المُرَكّب الإسنادي الإسمي المكون من المبتدأ /المسند إليه : الحمدُ ، والخبر/ المُسنَد : للهِ ، ثم أتبع لفظ الجلالة بأربعة أوصاف كلها متعلقة بالمسنَد إليه من خلال مرجعية الضمير في الصفات الثلاثة الأخيرة : وليه ، الهادي إليه ، المُثيب به ، وكلها أسماء مشتقة تؤكد على الديمومة والاستمرار ، ثم يعيد الحمدلة في صياغة فعلية جديدة حاملة دلالة الاستمرارية في قوله : أحمده ، وليس أي حَمْدٍ ، وإنما هو الحمد الأكثر إرضاءً له ، والأكثر تزكية ، ثم بالمصدر حمدًا موصوفًا بما يناسب إنعام المُنعِم سبحانه .

---

[1] – الكفوي : الكليات – سابق ص ٥٣٤ .

[2] – ابن الأثير : منال الطالب في شرح طوال الغرائب – تحقيق د/ محمود محمد الطناحي – ط٢/١٩٩٧م – مكتبة الخانجي – القاهرة – ٣/١ .

[3] – ابن قتيبة : غريب الحديث – سابق – ١٤٧/١ .

ويحمد الخطابي ربه سبحانه وتعالى بهذا التركيب الاسمي ***الحمد لله*** ثم يأتي للفظ الجلالة بهذه الأوصاف : " **بارئ النَّسَم ، رازق القَسَم ، الحكيم فيما أنشأ ودبَّر ، الخبير بما قدَّمَ وأخَّر ، الذي وسع خلْقَهُ عِلْمُه** " (١) وقد جاءت هذه الصفات الخمسة معرفة ، تنوعت فيها وسيلة التعريف ما بين الإضافة الدالة على تعظيم النعمة في الصفتين الأولى والثانية ، وأل العهدية الذهنية في الصفتين الثالثة والرابعة ، ثم التعريف بموصولية الاسم الموصول في الخامسة ، وإذا كان المعرف بأل وبالموصولية في رتبة واحدة ؛ " لأنها – الإضافة – أخصر طريق يمكن إحضاره في ذهن السامع " (٢) وقد ذكر ابن عصفور في شرحه " أن الموصول في التعريف بمنزلة ما عُرِّف بالألف واللام (٣) فإن التعريف بالإضافة تكون فيها " مرتبة المضاف هي مرتبة ما أُضيفَ إليه "(٤) وعليه تكون جمالية التعريف بالإضافة في الموضعين المذكورين – الصفتان الأولى والثانية – هي التعظيم ؛ لارتباط البرْءِ – الخلْق – والرزق بالله سبحانه وتعالى .

ثم يلجأ الخطابي إلى الحمدلة تأكيدًا لما سبق ، من خلال استخدام الزمن الآني حيث الفعل المضارع – أحمده – بدلالته على الاستمرارية وما تستدعيه من الدلالة على التجدد والديمومة ، فيقول : " أحمده على ما عمَّ مِنْ نِعَمِه ، وخصَّ مِنْ مِنَنِه ، وأشكره على حُسْنِ ما اختار لنا من دينه ، وأكرمنا مِنْ سُنَّة نبيه " (٥) وقد ربط الحمد والشكر بما أنعم الله عليه من النِّعَم المادية والمعنوية ، في صورة من صور الأثر الواضح للعقيدة الإسلامية في الخطاب .

---

١ – الخطَّابي : غريب الحديث ٤٦/١ .

٢ – المغربي : مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح – تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل – دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٣م – ٢٠٢/١ .

٣ – ابن عصفور : شرح جمل الزجاجي – قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه فواز الشعار – ط١٩٩٨/١م – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٥٣/١ .

٤ – المغربي : مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح – السابق ٢٢٢/١ .

٥ – الخطابي – غريب الحديث ٤٦/١ .

ويحمد السمعاني ربه سبحانه وتعالى بصيغة الحمدلة القصيرة **الحمد لله** ، ثم يُتبع لفظ الجلالة بستة أوصاف قبل إنهاء الوصف باسم الموصول ، فيقول : " الحمد للهِ الواسع علمه ، الحكيم أمره ، البديع صُنعه ، العليّ شأنه ، الجليّ برهانُه ، الواضح بيانُه ، الذي أكرمنا بالنبي الأمّيّ الأمين " (١) والأسماء الستة كلها من أسماء الله الحسنى وصفاته العُلا ؛ ولأنها كلها من المشتقات ، فقد أتبعها المؤلف بالفاعل – كوظيفة نحوية – المرتبط بلفظ الوصف بالضمير الغائب ، وكلها تعود على لفظ الجلالة الله سبحانه وتعالى .

ويأتي الفارسي [ت ٥٢٩هـ] بالحمدلة بعد البسملة فيقول : " الحمد للهِ مُسبِّبِ الأسباب ، مُفَتِّحِ الأبواب ، مُقلِّبِ القلوب بين صفْوِ اليقينِ وكَدَرِ الارْتياب ، مُصرِّفِ الأُمورِ بيْنَ طوْرَيِ الاسْتواءِ والاضطراب ، الذي خصَّ الإنسان بلطيفة هي مُرْتَبَطُ الخِطاب ، ومناط التكليف المتضمّن للحظْرِ والإيجاب " (٢) والذي يُلحظ على صيغة الحمدلة هنا حرص المؤلف على الجانب الإيقاعي الماثل في إنهاء الجمل كلها بصوت الباء المكسورة محققًا النغمة الموسيقية التي ينتجها السجع بمفهومه الشائع عند البلاغيين وهو " تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرفٍ واحد " (٣) .

بيد أنه هنا قد تعدى الحرف الواحد إلى الحرفين في نهاية كل فاصلة ، بحيث تتسع المساحة الإيقاعية مع التكثيف الصوتي المتكرر في ذلك المكان من الفواصل ، وكلٌّ من اتساع المساحة والتكثيف الصوتي عامل مساعد يؤدي وظائفه التواصلية ؛ من حيث رعاية حال المتلقي وإعانته على حفظ النص ، فإن في سجع الكلام لذةً للسامع ، ومن ثمة

---

١ – السمعاني : مجموع غرائب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم – سابق – ١/١ من النص المحقق ، ومن الجدير ذكره هنا أن تلك الأوصاف جميعها تنتمي إلى باب النعت السببي في النحو العربي .

٢ – ابن إسماعيل الفارسي : مجمع الغرائب ومنبع الرغائب – سابق – ٢/١ .

٣ – ابن الأثير : المثل السائر – سابق – ١٩٣/١ .

سهولة في الحفظ ومرونة في الاستعمال ، وبالضدِّ من ذلك كله غير المسجوع ([1]) واللذة في المسجوع قيمة جمالية ؛ لأنّ " الكلام المسجوع أفضل من غير المسجوع "([2]) .

وثمة قيمة حجاجية يؤديها السجع خاصة ، والكلام المُوَقّع عامة ذلك أن سهولة حفظه تستدعي كثرة ترديده ، وفهمه وتدبره وبالتالي براعة استدعائه في السياقات المناسبة ، كما " أن توقيع الكلام وتوازنه يكاد يكون حجة على صدقه " ([3]) وعندما سُئل عبد الصمد بن الفضل الرقاشي عن علّة إيثاره السجع وإلزام نفسه الوزن والقوافي ، أجاب : " إنَّ كلامي لو كنتُ آمل فيه إلاّ سماع الشاهد ، لقلَّ خلافي عليك ، ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر ؛ فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد ، وبقلّة التفلُّت ، وما تكلَّمتْ به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلَّمَتْ بهِ من جيد الموزون ، فلم يُحفظ من المنثور عُشْرُهُ ، ولا ضاع من الموزون عُشْرُهُ " ([4]) .

وإلى جانب الكثافة الصوتية المرتكزة في نهاية الفواصل في حمدلة ابن إسماعيل الفارسي نجد التوازن التركيبي الذي بدأ بسيطًا مع أول وصفين ، حيث اكتفى بالمركب الإضافي – المضاف والمضاف إليه – ثم وسَّع للتراكيب اللغوية المساحة المتاحة مع الحفاظ على توحد النهاية في تلك التراكيب بسيطها ومركبها ، ومع ذلك ، فإن السجع هنا لا يخرج عن السجع القصير ، بل أحسنه لأنه لم يزد في الفاصلة الواحدة على سبعة ألفاظ ، إذ حد السجع القصير عند ابن الأثير عشر كلمات ([5]) .

---

[1] – ابن جني : الخصائص – سابق – ٢١٦/١ .
[2] – ابن الأثير : المثل السائر ١٩٨/١ .
[3] – د/ محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي – سابق – ص١١٦ .
[4] – الجاحظ :البيان والتبيين . تحقيق عبد السلام هارون . ط١٩٤٢/١م . لجنة التأليف والترجمة والنشر . ٢٨٧/١
[5] – ابن الأثير : المثل السائر ١/ ٢٤١ .

ويأتي القاضي عياض بعد الحمد لله بوصفين ، ثم يأتي بعدهما بجملة وصفية حالية ، وذلك حيث يقول : " الحمدُ لله مُظْهِرِ دينه المُبين وحائطه – حافظه – من شُبَهِ المُبطلين ، وتحريف المحرِّفين ، بعثَ محمدًا عليه السلام إلى كافة خلقه .... " (١) ويحذو حذوه ابن قُرْقُول في صيغة الحمدلة ، فيقول : " الحمد لله مُظْهِر دينه على كل دين ، وحائطه من شُبَهِ المُبطلين وباعثِ رسوله الأمين إلى كافة الخلق أجمعين .... " (٢) وابن قرقول وإن كان خالف أستاذه القاضي عياض في اعتماد الوصف الاسمي بديلاً عن الفعلي ، إلا أنه لم يخرج عن الإطار العام الذي وردت عليه الحمدلة عند أستاذه القاضي عياض .

ومِنْ مؤلفي غريب الحديث مَنْ قنع بوصف لفظ الجلالة **الله** في صيغة الحمدلة بالاسم الموصول ، متكئًا على ما تنتجه جملة الصلة من دلالات مثل ابن سلام الهروي الذي قال بعد البسملة : " الحمد لله رب العالمين الذي علّم الإنسان ما لم يعلم ، وكان فضله عليه عظيمًا "(٣) حيث أتى بصيغة الحمدلة كما وردت في بدء سورة الفاتحة كاملة ، ثم جاء بالاسم الموصول وجملة صلته وصفًا للفظ الجلالة ، حيث ربط الوصف هنا بنعمة العلم العالقة بموضع الكتاب .

ومِثْل الزمخشري الذي أتى بعد صيغة الحمدلة بتسع جمل صلة للموصول ***الذي*** ، وتلك الجُمَل التسعة ترتكز حول دلالتين ، أولاهما نسبة نعمة الفصاحة والبيان التي كان عليها الذبيح إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وأولاده إلى الله عز وجلّ ، فهو سبحانه وتعالى الذي فتق لسان إسماعيل بالعربية ، وتولاه بنطق اللغة ، وجعله أبا عذرة – السابق – التصدي للبلاغة ، وهو سبحانه الذي أخرج من سلالة إسماعيل عليه السلام عدنان ، وجعل من ولَد عدنان قحطان وأحياءه ، ورزق كلاً منهم من البيان

---

١ – القاضي عياض : مشارق الأنوار – سابق – ٣١/١ .
٢ – ابن قُرْقُول : مطالع الأنوار – سابق – ١٤٥/١ .
٣ – أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي : غريب الحديث – سابق – ١/١ .

والإبداع والإعراب القسط والسهم والكِفْل ([1]) الذي يتناسب والرسالة التي اصطفاهم الله تعالى لها .

ويستخدم النيسابوري [ت بعد ٥٥٣هـ] صيغة الحمدلة الموصوف فيها لفظ الجلالة باسم الموصول فيقول : " الحمدُ للهِ الذي بحمده ابتداءُ كلِّ مقال ، وإلى حكمه انتهاء كلِّ حال " ([2]) فقد أتى بجملتين لصلة الموصول يربط بينهما بالعطف ، وبنية الجملتين واحدة ، حيث قدَّم فيهما المسنَد/الخبر ، على المسنَد إليه/ المبتدأ ؛ لإنتاج دلالة التوكيد والتخصيص ، ثم جاء بمجموعة من الجمل التي تتراوح بين الفعلية والإسمية فيقول : " يُبصِر ما استسرَّ وما أصحر للأبصار ، ويعلم ما احتجز وما برز للأفكار ، وكُلُّ نفسٍفهو الذي برأها ، وكُلُّ نَسَمَةٍ فهو الذي ذَرأها ، وكُلُّ شيءٍ فهو الذي قَضاهُ وقدَّره ، وكُلُّ حيٍّ فهو الذي أنشأه وصوّره ، وكُلُّ خيرٍ فهو الذي أرادَه وبسط مِهاده ، وكُلُّ علم فهو الذي شَادَهُ ورفع عِمادَه ، بيده أزمّة الصّدور ، وَمِنْ عنده تتمّة الأمور ، وله الخلق والأمر، وإليه المصير" ([3]) .

ويلاحظ أنه قد أتى بجملتين فعليتين ساوى بينهما في البنية النحوية المنتجة للازدواج الإيقاعي ، وختمهما بالسجع ، مما يجعله يتآزر والقيمة الإيقاعية للازدواج تلك القيمة التي تخفف شيئًا ما من رتابة النثر وطول فواصله ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يُيَسِّر سريان تلك الجمل على اللسان ، ومن ثمة سهولة حفظها ، واستدعائها في السياقات المماثلة .

ويقول ابن الجوزي [ت ٥٩٧هـ] : " الحمدُ للهِ الذي جعلَ الإنسان إنسانَ عيْن المخلوقات ، وزيَّنَهُ بالنُّطْقِ ، وتعلُّمِ الكلمات ،وفضَّل اللغة العربية على سائر اللغات ،أحمدُه على النِّعَمِ السَّابِغات وأشكره على الأيادي البالغات " ([4]) وبالنظر في سياق الحمدلة هنا نجد المؤلف يتخذ من اللغة

---

[1] – الزمخشري : الفائق في غريب الحديث – سابق – ١١/١ .
[2] – النيسابوري : جُمَل الغرائب – سابق – ص٢ من النص المحقق .
[3] – السابق : الموضع نفسه .
[4] – ابن الجوزي : غريب الحديث – سابق – ١/١ من مقدمة المؤلف .

العربية مرتكزًا تدور حوله حمدلته التي بدأت بعموم اللفظ حيث الإنسان على إطلاقه عربي وغير عربي ،ثم التخصيص باللغة العربية التي فضّلها الله تعالى على سائر اللغات ، كما نلحظ حرص المؤلف على التسجيع بإنهاء كلمات الفواصل الأربعة بالألف المجهورة ذات الوضوح السمعي العالي ، والتي تستخدم عادة لمد الصوت ، وصوت التاء الانفجاري المهموس .

ونلحظ عند ابن الجوزي هنا جمعه بين الحملة الاسمية ***الحمد لله*** والحمدلة الفعلية ***أحمد الله*** أو ***أحمده*** ، وكأنه يريد الجمع بين القيم البلاغية والدلالية للصيغتين معًا ،وقد ذكر القلقشندي الخلاف بين العلماء حول أيّ الصيغتين أبلغ من الأخرى " فذهب المحقّقون إلى أنَّ صيغة ***الحمد لله*** أبلغ لما فيها مِنْ معنى الاستغراق والثبوت والاستمرار على ما هو مقرر في علم المعاني ، وذهب ذاهبون إلى أنّ صيغة ***أحمد الله*** أبلغ ؛لأنّ القائلَ ***الحمد لله*** حاكٍ لكوْنِ الحمد لله ، بخلاف القائل ***أحمد الله*** ؛ فإنه حامدٌ بنفسه ؛ ولذلك يؤتى بالتحميد ثانيًا في الخُطَب بصيغة الفعل " (١) .

التشهُّد :

التشهُّد أو الشهادة هي تلفظ المتكلم بشهادة التوحيد ، أيْ توحيد الله عز وجل عن الشريك ، والشهادة برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والشهادة هي العلم ، والشاهد هو العالم الذي يبيّن ما علمه ، ومن ثمة فالشهادة هي العلم بوحدانية الله ، واصطفائه سبحانه وتعالى محمدًا نبيًّا وزرسولاً ، وعلى ذلك فالشهادة هي النص على قول العبد : أشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله ، إذ لا يُقبل صدرها دون عجزها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عبادة بن الصامت : " مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ الله ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّار " (٢) ومن شروطها الإخلاص ؛ لما ورد من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه من قول

---

١ – القلقشندي : صُبح الأعشى – سابق – ٦/٢٢٥ .

٢ – صحيح مسلم – سابق – ص ٣٦ – الحديث رقم ١٤٢ .

النبي صلى الله عليه وسلم : " الحَديثِ أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتي يَومَ القِيَامَةِ، مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ، أوْ نَفْسِهِ " ([1]) .

وربما لشرط الإخلاص لله سبحانه وتعالى في الشهادة ، نصّ الإمام الخطابي في مقدمته عليه بقوله : " وأُخْلِصُ القولَ بأن لا إله إلا الله شهادة الموحد المُسْتبصِر غير المُتوقِّف المتحيِّر ، وأشهد أنّ محمدًا عبدُه الأمينُ على وحيه ، ورسوله الصادع بأمره ونهيه " ([2]) الذي أردف الحمدلة بالتشهُّد تسننًا بسُنّة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ كان عليه الصلاة والسلام يُرْدِفُ الحمدلة بالشهادتين ([3]) وكذلك فعل والصحابة ، واستمرت هذه السُّنّة في بنية الخطابة إلى عهد الدولة الأموية ، وكذلك الدولة العباسية في التزام المؤلفين المسلمين بهذه الفواتح الدينية .

كما أردف ابن الأثير في كتاب النهاية التشهُّد بعد الحمدلة حيث قال : " وأشهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله شهادة مُتحلٍّ بقلائد الإخلاص وفرائده ، مستقلٍّ بإحكام قواعد التوحيد ومعاقده " ([4]) وهو إلى جانب ذكره الشهادتين في هذا السياق نراه يذكر تحليه بالإخلاص في الشهادة ، نافيًا عن نفسه الرياء أو التظاهر .

ومما يجدر ذكره هنا ،أن اثنين فقط من مؤلفي غريب الحديث الذين عرضنا لهم قد تلفظا بالتشهُّد في مقدمتيهما ،بل إن ابن الأثير قد تلفظ بالتشهد في كتاب النهاية ،بينما لم يتشهد في كتاب منال الطالب ، ولعل في انصراف المؤلفين التاركين للتشهُّد إلى الحديث عن موضوع الكتاب وظروف

---

[1] – الإمام البخاري : صحيح البخاري – ط١/١٩٩٧م – دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض– ص٢٧ – الحديث رقم ٩٩ ، ورقم ٦٥٧٠ ص ١٣٨٤ .

[2] – الخطابي : غريب الحديث ٤٦/١ .

[3] – ولقد أورد الترمذي في سننه الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل خطبة ليس فيها تشهُّد ، فهي كاليد الجذماء " سنن الترمذي – سابق – الحديث ١١٠٦ص ٢٦٢ .

[4] – ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١ .

التأليف فيه مما يفسِّر عدم وجود التشهُّد ، خاصة وأن في البسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تضمنًا لمدلول التشهُّد .

الصلاة على النبي :

كما حرص مؤلفو غريب الحديث النبوي على اشتمال مقدماتهم على صيغة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ،تلك التي افتُرِض أن تكون موقعيتها من المقدمة بعد التشهُّد إذا كان موجودًا في النص ، وقد وجدنا ذلك عند ابن الأثير في كتاب النهاية فقد قال بعد التشهُّد : " وأصلّي على رسوله جامع نوافر الإيمان وشوارده ، ورافع أعلام الإسلام ومطارده ، وشارع نهج الهدى لقاصده ، وهادي سبيل الحق وماهده ، وعلى آله وأصحابه حُماة معالم الدين ومعاهده ، ورادة مَشْرِعِه السائغ لوارده " ([1]) .

وقد تأتي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد البسملة مباشرة ، إذ لا تشتمل المقدمة على التشهُّد ، وذلك عند السرقسطي [ت ٣٠٢هـ] في كتاب الدلائل ، إذ قال بعد البسملة مباشرة : " وصَلّى الله على محمد وآله وسلّم " ([2]) وأما الكتب الأخرى ، فقد وردت فيها صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في ستة مواضع ،في حين خلتْ مقدمتان من مقدمات كتب غريب الحديث النبوي . التي اعتمدناها . من الصلاة على النبي ،وهما كتابا: غريب الحديث لابن قتيبة وغريب الحديث للخطابي ومع ذلك فقد وردت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في ثنايا المقدمة بعيدًا من هذه الصورة الشكلية التي أردفتْ فيها البسملة أو الحمدلة .

واستخدام السرقسطي وابن الأثير الفعلَ في البنية الأسلوبية للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يستدعي في هذا السياق أمرين : أولهما تنوع الصيغة بين الاسمية والفعلية في كتب غريب الحديث موضوع بحثنا هذا ، حيث وردت الصيغة بالاسمية في موضعين اثنين أولهما : غريب

---

[1] – ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر – السابق – الموضع نفسه .

[2] – السرقسطي : الدلائل في غريب الحديث – سابق – ١/١ .

الحديث لابن سلام الهروي [ت٢٢٤هـ] الذي قال بعد البسملة والحمدلة : " والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين المرسَل رحمة للعالمين " (١) وثانيهما : الفارسي [ت ٥٢٩هـ] الذي قال بعد الحمدلة : " ثم الصلاة على على المخصوص بالاصطفاء والانتخاب ، المبرَّأ من كلِّ عاب " (٢) .

وأما الصيغة الفعلية ، فقد وردت في سبعة مواضع من كتب غريب الحديث موضوع دراستنا ، وهي موزعة على صيغتَيْ الماضي والمضارع ، حيث وردتْ صيغة الزمن الماضي في أربعة مواضع أولها ما عرضناه من قبل للسرقسطي في ***الدلائل*** ، وثانيها عند الحُميْدي [ت٤٨٨هـ] في ***تفسير غريب ما في الصحيحين*** حيث قال بعد الحمدلة : " وصلى الله على نبيه محمد الذي أهدى إلى القلوب برسالته هداها ونورها ، وكشف عنها غمَّاءها وديجورها ، وعلى آله أئمّة الدين بعده ، والذين قصدوا قصْده ، وابتغوا رشدَه وسلّم تسليمًا كثيرًا " (٣) وثالثها عند النيسابوري [ت بعد ٥٣٣هـ] في ***جُمَل الغرائب*** حيث قال بعد الحمدلة : " فصلّى الله عليه وعلى آلِهِ وأتباعه وأنصاره وأشياعه " (٤) ورابعها هو قول القاضي عياض الذي أردف البسملة بها في قوله : " وصلَّى الله على سيدنا محمد الكريم " (٥) .

وأما صيغة المضارع ، ففقد جاءت في ثلاثة مواضع : أولها قول ابن الجوزي في غريبه بعد الحمدلة : " وأُصلّي على رسوله محمد أشرف الأنبياء وسيد السادات ، وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الفصل والممات ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا دائمًا بدوام الأرض والسماوات " (٦) وثانيها قول ابن الأثير بعد الحمدلة : " وأصلِّي على رسوله جامع نوافر الإيمان وشوارده ، ورافع أعلام الإسلام ومطارده ، وشارع نهج الهدى لقاصده ، وهادي سبيل

---

١ – ابن سلام الهروي : غريب الحديث – سابق – ١/١ من النص المحقق .
٢ – الفارسي : مجمع الغرائب ومنبع الرغائب – سابق – ٢/١ من النص المحقق .
٣ – الحميدي : تفسير غريب ما في الصحيحين ص ٣٣ .
٤ – النيسابوري : جمل الغرائب – سابق – ص٥ من النص المحقَّق .
٥ – القاضي عياض : مشارق الأنوار ٣١/١ .
٦ – ابن الجوزي : غريب الحديث ١/١ من النص المحقق .

الحق وماهده ، وعلى آله وأصحابه حُماة معالم الدين ومعاهده ، ورادةِ مشرعه السائغ لوارده " ([1]) وأما الموضع الثالث ، فهو قول ابن الأثير . أيضًا . في منال الطالب :" وأصلِّي على محمد رسوله وعبْده هادم مشيد الكفر ، وهازم جُنْدَه ، وخيرته المُؤيَّدِ بنصرٍ مِنْ عِنْدِه ، وعلى آلِهِ وأصحابه وأزواجِهِ مِنْ بَعْدِه صلاةً تُحِلُّهُمْ دَارَ كرامَتِهِ ورِفْدِه ، وتُنْهِلُ قائِلَها مِنْ نَمِير الفلاَحِ وعِدِّه "([2]) وقد زاد هنا النَّصَّ على أزواجه ، رغم دخولهن رضي الله عنهنّ في حيِّز آله عليه الصلاة والسلام .

وإذا كانت القيمة الدلالية لاسم المصدر/ الصلاة تدور حول الثبوت والاستمرارية ،فإنّ القيمة الدلالية للفعل ***صلَّى*** في صيغة الماضي التحقيق والتأكيد القارِّ في الدلالة لارتباط الفاعلية بلفظ الجلالة الله سبحانه وتعالى ،ومع الفعل المضارع تُستدعى دلالة التجدد والاستمرار التي يُنتجها المصدر ويزيد الفعل المضارع على المصدر تحديد الفاعلية ونسبتها إلى مؤلِّف الكتاب بما يوحي بشيء من الذاتية التي لا تظهر مع صيغة المصدر .

ويُلحظ على صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة من الملحوظات منها أن اثنين من هذه الكتب لم يُصرّحْ أصحابها باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ،وهما : جمل الغرائب للنيسابوري الذي اعتمد على ذكره اسمه صلى الله عليه وسلم في ثنايا حمدلته ،والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الذي اكتفى بإيراد اسم محمد صلى الله عليه وسلم في التشهُّد الذي يسبق الصلاة والسلام مباشرة .

ومنها أن الدعاء لآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته لم يرد عند ابن سلام الهروي ،واكتفى السرقسطي في الدلائل بالصلاة على آله وحدهم ،في حين جمع الفارسي في مجمع الغرائب إلى الآل المهاجرين والأنصار وأرواح السلف الصالح ،وجمع النيسابوري في جمل الغرائب بين

---

[1] – ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر – سابق – ٣/١ .
[2] – ابن الأثير : منال الطالب في شرح طوال الغرائب – سابق – ٣/١ .

الآل والأتباع والأنصار والأشياع ،وقصر ابن الجوزي الأمر على الأصحاب والأتباع ،وجمع ابن الأثير في كتاب النهاية بين الآل والأصحاب ، وأضاف إليهم في منال الطالب أزواجه صلى الله عليه وسلم . ومنها أخيرًا أن كلمة السلام المقرونة بالصلاة على النبي جاءت معرفةً معطوفةً على الصلاة عند ابن سلام ، في حين فصلها عنها الفارسي في مجمع الغرائب ، رابطًا السلام بأرواح السلف الصالحين ، وجاءت مصدرًا رباعيًّا نكرة بعد فعله الرباعي المضعف العين عند الحميدي في تفسير غريب الصحيحين وذلك في نهاية التصلية وكذلك عند ابن الجوزي ، في حين ختم السرقسطي صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم ، بفعل ***وسلّم*** وحده مسبوقًا بدالة العطف .

فصل الخطاب :

وبمطالعة كُتُب غريب الحديث التي اعتمدناها في بحثنا هذا وجدنا خمسة منها قد وظفت عبارة فصل الخطاب في المقدمة تامة ، ومنها كتاب واحد استخدم العبارة منقوصة من طرفها الأول **أمَّا** مكتفيًا **بواو العطف** والظرف **بعدُ** ، وهو كتاب الحميدي **تفسير غريب ما في الصحيحين** (١) وأما الأربعة المتبقية ، فإنها جاءت بعبارة فصل الخطاب كاملة مع تنوُّع ما بعده ، فقد وردت إنَّ المؤكِّدة مسبوقة بالفاء عند النيسابوري في جمل الغرائب وابن الجوزي في تفسير غريب الحديث ، وابن الأثير في منال الطالب (٢) بينما خالف ذلك في كتابه الآخر **النهاية في غريب الحديث والأثر** ،حيث أتى بالمصدر الرباعي وقرنه بالفاء وذلك قوله : " أما بعدُ ، فلا خلاف بين أولي الألباب والعقول ولا ارتياب عند ذوي المعارف والمحصول أنَّ علم الحديث والآثار من أشرف العلوم الإسلامية قدرًا ،وأحسنها ذِكْرًا ، وأكملها نفعًا وأعظمها أجرًا " (٣) .

---

١ – الحميدي : تفسير غريب ما في الصحيحين – سابق – ص٣٣ .

٢ – انظر : النيسابوري : جمل الغرائب ص٥ ، ابن الجوزي : تفسير غريب الحديث ١/١ ابن الأثير : منال الطالب ٣/١ من النص المحقق .

٣ – ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١ من النص المحقق .

٢ـ ٣ـ كتب الغريبيْن :

ولقد حرص مؤلفو غريبَيْ القرآن والحديث على تصدير مقدماتهم بالبسملة ، مع التنويع فيما يُردفونها به ، ففي حين اكتفى الهروي بذكر البسملة وحدها ([1]) وجدنا أبا عيسى المديني الأصفهاني يُرْدفُها بالدعاء قائلاً : " ربِّ يسِّرْ بالخيرِ وَأعِنْ " ([2]) في حين اكتفى كل من الصديقي والطريحي بهذه الجملة التي تستدعي بنيتها السطحية الخبر ، بينما تستدعي بنيتها العميقة الدعاء : " وبه نستعين " ([3]) وقد توسل المؤلف بأسلوب القصر الماثل في التقديم والتأخير لإنتاج دلالة التوكيد والتخصيص ، لتوجيه دلالة الاستعانة نحو الله وحده ودون أحد .

وبقراءة الخطاب المقدماتي لكُتب غريبَي القرآن والحديث تبين أن ثلاثة منها قد أردفت البسملة بدعاء الاستعانة ، ثم صيغة الحمدلة التي كررها المديني الأصفهاني في المجموع المغيث مرتين ، حيث قال في الأولى مستوعِبًا كل ما من شأنه أن يُحقق له الحمد الكامل كمال الله سبحانه وتعالى : " الحمد للهِ رب العالمين بجميع محامده ، رِضا نفسه ، ومِداد كلماته " ([4]) وقال في المرة الثانية مستعينًا بأسباب اللجوء إلى الحمد : " والحمدُ للهِ كما ينبغي أنْ يُحمَدَ بما جعلنا من أهل الإيمان ، وعلَّمَنا كتابه القرآن ، وبما رزقنا من العلم والبيان في سائرِ نِعَمِهِ المتعدِّدة المتجاوِزة للحصر " ([5]) . وقال الصديقي الهندي في مجمع بحار الأنوار بعد دعاء الاستعانة الرادف للبسملة : " الحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا ، وما كُنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسلُ ربنا بالحق " ([6]) وهذه الصيغة للحمدلة مقتبَسة من آية سورة الأعراف التي حكاها الله تعالى على لسان أصحاب

---

[1] – الغريبيْن في القرآن والحديث : الهروي – سابق – ٣٣/١ .
[2] – المجموع المغيث : المديني الأصفهاني – سابق – ٣/١ .
[3] – الفتّني : مجمع بحار الأنوار– ١/١ ، الطريحي : مجمع البحرين– ١٣/١ .
[4] – المجموع المغيث : المديني الأصفهاني ٣/١ .
[5] – السابق : الصفحة نفسها .
[6] – مجمع بحار الأنوار : الفتّني ١/١ .

الجنة : ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ . لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ** ﴾[الأعراف ٤٣] وهداية الله الله للمؤلِّف هنا إنما مراد بها هدايته لموضوع كتابه ، أما أصحاب الجنة في الآية الكريمة ، فقد كانت للثواب وهو الجنة .

وقال الطريحي بعد البسملة ودعاء الاستعانة : " الحمدُ لِمَنْ خلقَ الإنسانَ وعلَّمَهُ البيانَ والتبيانَ ، وأوضحَ لهُ الهُدَى والإيمانَ " (١) وتلك ثلاث جمل قصيرة يجمع بينها الجانب الإيقاعي الماثل في السجع ؛ لتشابه فواصلها في الحرف الأخير وحركته ، وقد خالف الطريحي بصيغته للحمدلة هذه سابقَيْه من حيث إنهما قد خصصا الحمد بلفظ الجلالة الله الذي هو " اسم للموجود الحق الجامعِ لصفات الإلهية المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقي " (٢) وأما الطريحي ، فقد توجه بالحمد نحو اسم الموصول المتعرف بجمل الصلة التي تشير إلى نِعَم الله سبحانه وتعالى .

وأما الخطاب الرابع ،فهو للهروي الأسبق تأليفًا في الغريبين ،ومع ذلك نراه لا يبدأ خطابه المقدماتي بعد البسملة بالحمدلة كما هو الشائع بين المؤلفين خاصة في الكتب الدينية ،وإنما بدأ المقدمة بعد البسملة بتسبيح الله عز وجلّ ذاكرًا كثيرًا من الشواهد الدالة على ألوهيته وعظمته سبانه وتعالى ،من ذلك قوله: " سبحان مَنْ له في كلِّ شيءٍ شاهدٌ بأنه إله واحد ،وفي جميع ما أدركه بصر وأفضى إليه نظر دليلٌ قائمٌ على أنه قديم قادر ،ينطق برهانه عن كل محسوس ،ويُعقل سلطانه عن كل موجود " (٣) .

ويقدّم الهروي لوحة فنية رائقة من التعابير الأدبية الماتعة التي ترتكز حول صفات الله سبحانه وتعالى من حيث إنه سبحانه حكيم عالمٌ ، سمك السماء ورفعها بغير عَمَدٍ على غير مثالٍ سبق ، وزينها بالنجوم وحرسها بالشهُب ، وخلق الأفلاك ، ليس له نِدٌّ ولا ولد ، فالق الحَبِّ وبادئ

---

١ – مجمع البحرين : الطريحي ١٣/١ .
٢ – الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ١٥٧/١ .
٣ – الغريبيْن في القرآن والحديث : الهروي ٣٣/١ .

النَّسَم ، ومُوجِد الأشياء مِنْ بعد العدم ، خلق الأنوار والظُّلَم ؛ ولكل ذلك كان كل شيء له مسبِّحًا ؛ لأنه سبحانه مُسْتغْنٍ عن المُعينِ مُتَعَالٍ فيما دبَّرَ وقدَّر فهو سبحانه ملِكٌ عنت له الوجوه ، ربٌّ إليه المصير ، إله عالمٌ خائنة الأعين وما تُخفي الصدور ، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير ([1]) .

وبعد ذلك ينتقل الهروي للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم – ولها وقفة فيما بعد – ثم يفيء إلى الحمدلة قائلاً : " والحمدُ لله الذي جعل صدورَنا أوعيَةَ كتابِه ، وآذانَنا مواردَ سُننِ نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهِمَمَنَا مصروفةً إلى تعلُّمِهما ، وإرادتنا منوطة بتدبُّرِهما والبحث عن معانيهما وغرائبِهما " ([2]) ثم يختم الحمدلة بالدعاء – بصيغة الجمع – للتوفيق والهداية لسبُل الرشاد والقصد والسداد ، وتيسير المصالح في عاجله وآجله ومعاشه ومعاده . وعلى هذا النحو اختلفت موقعية الحمدلة عند الهروي في الغريبين عمَّن لحقوه وتأثروا به من مؤلفي الغريبيْن الذين أشرنا إليهم ، وكأنهم يريدون إثبات المزية والتفرد ، رغم التقليد والتبعية ، وليس التميز في المفارقة الموضعية للحمدلة ، بل لما تبعها من المداميك اللفظية التي يشتمل عليها الخطاب المقدماتي مما سنشير إليه في مراحل درسنا لهذا الخطاب .

وقد عمد اثنان من مؤلفي الغريبيْن إلى ذكر التشهد خلف الحمدلة مباشرة ، أولهما المديني الأصفهاني الذي قال : " وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله ، شهادةً تُوصِّلُ القائمَ بها إلى أرفع درجاته ، وأشهد أنّ محمدًا عبدُهُ الذي اصطفاه لنفسه ، وابتعثه برسالاته ، وأنزل عليه كلامَه : القرآن وجعله مِنْ أرْفَعِ معجزاته ، وآتاه جوامِعَ الكَلِمِ فيما خوَّله مِنْ آياته بعد أنْ علّمَه اللغةَ الفُصْحى التي كانت من لغة إسماعيل بن إبراهيم النبي عليهما السلام ، ودلالاته صلى الله عليه وسلم وعلى آلِه وأصحابه وأزواجه وذرِّيّاته ، كما أمر عباده المؤمنين به ، وجعله مِنْ مُوجِباتِه " ([3]) والصلاة على النبي وآله

---

[1] – الغريبين – السابق : الموضع نفسه .

[2] – السابق ٣٤/١ .

[3] – المجموع المغيث : المديني الأصفهاني – سابق – ٣/١ .

هنا تابعة للنصف الثاني من الشهادة ، وهو الشهادة بنوّته صلى الله عليه وسلم ، وليست الصلاة التي هي البنيات الداخلية للخطاب المقدماتي ؛ فإن تلك الأخيرة لها موضعها من كتاب المجموع المُغيث .

وثاني المؤلفين هو الفتّني الصديقي في مجمع بحار الأنوار ، وذلك قوله : " ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تحط الآثام ، وتكفِّرُ الهفوات والأجرام ، وتمحو موجِبات النِّقَم ، وتزيد مواهب النِّعَم " (١) وقد ركز المؤلف هنا على النصف الأول من الشهادة ، وهو الشهادة بالوحدانية ، دون أن يذكر النصف الثاني من الشهادة بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولعله اكتفى بصيغة الصلاة على النبي التي أردفها الشهادة بالوحدانية . وأما الاثنان الآخران :الهروي والطريحي ، فإنهما لم يذكرا في كتابيْهما صيغة التشهد بشقيْها : الشهادة بالوحدانية والنبوَّة ، ولعلهما قد اكتفيا بالحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم دلالة مدلول الشهادة بشقيْها .

ولقد حرص مؤلفو الغريبَيْن : القرآن الكريم والحديث النبوي على اشتمال مقدمات كتبهم على الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، تلك الصلاة التي افتُرِض أن تكون موقعيتها من المقدمة بعد التشهُّد إذا كان موجودًا في النص ، وقد مرّ فيما سبق أن اثنين من المؤلفين في الغريبيْن لم يذكرا التشهد في كتابيْهما ، ومن ثمة جات الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد استهلال المقدمة بالتسبيح عند الهروي ، الذي قال : " وصلّى الله على مَنْ تناسخته أرحامٌ مطهرة ، وأصلابٌ مُكرّمة ، فآدته طاهرًا نِجَارُه ، زاكيًا نِصَابُه " (٢) ويتخذ الهروي من هذه الكيفية للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مدخلاً لسرد ما يريد أن يصفه به من الصفات ، وكأن هذا الأصل الطيب الطاهر المكرم إنما هو إعداد له صلى الله عليه وسلم ، حتى يحمل الأمر العظيم والخطب الجسيم ، إذ كان نور النبوة بين

---

١ – مجمع بحار الأنوار : الفتّني – سابق – ١/١ .
٢ – الغريبيْن في القرآن والحديث : الهروي – سابق – ٣٣/١ .

عينيه ، وخاتم الرسالة بين كتفيْه ، قد حرسه الله تعالى وعصمه في كل مراحل حياته ، وارتقى درجات التشريف ، وصحبته المعجزات والأضواء ، ولازمته البيِّنات والأنوار ، إلى آخر هذه الأوصاف النبوية ([1]) .

وبعدما ذكر المديني الأصفهاني الحمدلة في سياقين متتاليين يردفها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : " وصلواته وسلامه على عبدِهِ ونبيِّهِ المُختار مِنْ بريَّتِه محمدٍ المصطفى ، وعلى آله " ([2]) وهذه الصيغة رغم إيجازها ، مكتنزة بكثير من الدلالات المصاحبة لكل كلمة منها ، فقد أتى بدالة الصلاة مجموعة مضافة إلى الذات العلية تعظيمًا وتشريفًا للصلاة عينها ومناسبة لمكانة المدعو له وهو النبي صلى الله عليه وسلم ، وأتى بها اسمًا ولم يقل : وأصلي ؛ لما في الاسم من الثبات والتلازم ، وأفرد السلام ولم يجمعه لأن السلام واحد ، واسم من أسماء الواحد سبحانه وتعالى ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية المضافة إلى الذات العليّة تشريفًا وتعظيمًا ؛ إذ اختاره الله تعالى واصطفاه من بين جميع خلقه ؛ ليحمل الرسالة ويبلغها إلى الناس كافة .

وقد أتى الفتّني الصديقي بالصلاة على النبي بعد التشهد ،فقال : " ونصلي على رسوله سيدنا محمد المصطفى ،حبيب الله الممجّد ،أرسله بالهدى بجوامع كَلِمِهِ المنجية عن الردى "([3]) ثم يؤكد فعل التصلية بالمصدر صلاة ،ثم يصف هذه الصلاة بما يدل على مكانتها من المؤمنين ؛فهي توجب رفع الدرجات وتوفق إلى الطاعات ،وقبول الطيبات والصالحات ، ويمد دعاء الصلاة إلى أصحابه صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وجميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والكرام السفرة وحملة العرش .

وكذلك أتى الطريحي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحمدلة؛ لخلوِّ مقدمته من التشهد فقال: " والصلاةُ على مَنْ خُصّ بالفرقان

---

[1] – الغريبيْن في القرآن والحديث – السابق ٣٣/١– ٣٤ .
[2] – المجموع المغيث : المديني الأصفهاني ٣/١ .
[3] – مجمع بحار الأنوار : الفتّني ١/١ .

،والآثار المحمودة الحسان ،وآله حُجج الرحمن المطهّرين عن الرجس بنص القرآن " [1] وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى في خطاب زوجات النبي محمد صلى الله عليه وسلم :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[الأحزاب:٣٣] .

وإذا كان المديني الأصفهاني والفتّني الصديقي قد ذكرا اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سياق الصلاة عليه مع الصفات التي وصفاه بها ، فإن الشيخ الطريحي لم يذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم في مقدمته ، مكتفيًا بدلالة صفاته التي ذكرها عليه ، وكذلك فعل الهروي في صيغة الصلاة التي أتى بها بعد البداية المتفردة لمقدمته ، وهي بداية التسبيح ، بيْدَ أنه أنهى المقدمة بعد دعاء الخاتمة بقوله : " وصلى اللهُ على محمدٍ سيدي وسيد المسلمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين " [2] .

وقد عمد ثلاثة من مؤلفي الغريبيْن إلى استخدام هذا المركب اللغوي المعروف بفصل الخطاب كاملاً بطرفيْه أو شقيْه اللغويين ، وهؤلاء الثلاثة هم : المديني الأصفهاني في المجموع المغيث [3] والفتّني الصديقي في مجمع بحار الأنوار [4] ثم الشيخ الطريحي في مجمع البحرين [5] أما الهروي ، فإنه لم يستخدم الطرف الأول من فصل الخطاب وهو كلمة أما ، واستعاض عنها بالواو [6] التي قد تكون نائبة عنها ، أو تكون عاطفة لمطلق الجمع للجمل بعدها على التي قبلها .

---

[1] – مجمع البحرين : الطريحي ١٣/١ .
[2] – الغريبين في القرآن والحديث: الهروي ٣٥/١ .
[3] – المجموع المغيث : المديني الأصفهاني ٣/١ .
[4] – مجمع بحار الأنوار : الفتّني الصديقي ١/١ .
[5] – مجمع البحرين : الطريحي ١٣/١ .
[6] – الغريبيْن في القرآن والحديث : الهروي ١/١ .

الفصل الثالث

بنية الموضوع

٣-١- غريب القرآن

٣-٢- غريب الحديث

٣-٣- الغريبيْن

٣-١- غريب القرآن

تحدثنا من قبل عن عبارة فصل الخطاب " أما بعْدُ " التي يؤتى بها بعد الصلاة والسلام على النبي وآله حيث يُؤتى بها للتخلص والانتقال من بنية الاستهلال إلى بنية الموضوع ، ومن ثمة كان موضعها الطبيعي أن تأتي بعد الصلاة والسلام على النبي وآله ، وهو ما رأيناه عند الماردِيني في بهجة الأريب ([1]) بيد أن ابن الهائم يأتي بفصل الخطاب ***أَمَّا بَعْدُ*** قبل الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ([2]) وكذلك فعل ابن قطلوبغا ، وإن كان قد أتى بها مباشرة بعد البسملة وقبل الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ([3]) .

وإذا كان هؤلاء المؤلفون قد نصوا على عبارة ***أَمَّا بَعْدُ*** في المواضع التي ذكرنا، فإن بعض المؤلفين قد قنع من تركيب فصل الخطاب بالظرف الزماني مسبوقًا بالواو العاطفة بعد الصلاة على النبي ***وبَعْدُ*** ومنهم السجستاني في **نزهة القلوب** والكرماني في **غرائب التفسير وعجائب التأويل** والنيسابوري في **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، وابن عبد الجبار اليوناني في كتاب **عجائب الزمان في غرائب الفرقان** .

وعلى هذا النحو من الموضعة والصورة التي تأتي عليها عبارة فصل الخطاب ، نجد المؤلفين ينتقلون مباشرة إلى موضوع الكتاب ، وفيه تختلف منازعهم في الحديث عن موضوع الكتاب في ثنايا المقدمة على النحو التالي :

---

[1] – الماردِيني : بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب – سابق – ص ٢٥ .

[2] – ابن الهائم : التبيان في تفسير غريب القرآن – سابق – ص ٤٣ .

[3] – ابن قطلوبغا : تحفة الأريب بحل ما في القرآن من الغريب– ص ١ .

التعريف بالكتاب – الغرض من تأليفه – منهجه – اسمه :

عمد بعض المؤلفين إلى التعريف بالكتاب بعد التخلص من استهلال المقدمة ، نجد ذلك عند السجستاني في نزهة القلوب ؛ إذ يقول : " وبعد ، فهذا تفسير غريب القرآن ، أُلِّفَ على حروف المعجم ؛ ليقرب تناوله ، ويسهل حفظه على من أراده " (١) ومن هذا نعلم موضوع الكتاب وهو تفسير غريب القرآن ، ثم أبان عن منهجه في الكتاب بعبارة بسيطة يسمها الإيجاز الذي بدا ليس فقط في قِصَر الجملة " أُلِّف على حروف المعجم " وإنما كذلك في اللجوء إلى أسلوب الإيجاز بالحذف ، وذلك في بنائه فعل التأليف للمجهول ، صحيح أن صاحب التفسير – المؤلِّف – معلوم ، بيد أن اللجوء إلى أسلوب الحذف يحمل من الدلالات ما يجعله وسيلة قارَّة في الخطاب منتجة للقيمة التواصلية الرابطة بين الكتاب والمتلقي الباحث عن المحذوف وقيمته ، مما يربطه بالنص المقروء فلا يتفلّت منه .

وربما كان هذا الإيجاز وسيلة من وسائل الاختصار التي لجأ إليها مؤلفو الغريب القرآني حيث يقول مكي بن أبي طالب في مقدمة تفسير المشكل من غريب القرآن معرِّفًا بكتابه : " هذا كتاب جمعتُ فيه تفسير المُشْكِل من غريب القرآن على الإيجاز والاختصار مع البيان " (٢) ولم يُسَمِّ الكرماني كتابَه ،ولم يُعنون له في المقدمة ،بل لم يُشِر إليه ،وإنما ذكر رغبة أكثر العلماء والمتعلمين في غرائب تفسير القرآن وعجائب تأويله ،وهو ما دفعه إلى أن يجمع في كتابه من الغريب ما فيه مقنعًا لرغبتهم ومُكتفى لطلبتهم ،ثم أبان عن منهجه في الكتاب بقوله: " وأوجزتُ ألفاظه من غير إطنابٍ ؛فإنّ مجتنى كنوز العلم في اختياره ،وحُسْن جمعه واختصاره "(٣) .

---

١ – السجستاني : نزهة القلوب ص ٣

٢ – مكي بن أبي طالب : تفسير المشكل من غريب القرآن ص ١٩ .

٣ – الكرماني : غرائب التفسير وعجائب التأويل ٨٨/١ .

وكذلك لم يُشِر الرازي في مقدمته إلى عنوان الكتاب ، وإنما قال عنه : " هذا مُختصَرٌ جمعتُ فيه أنموذجًا يسيرًا من أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها تلك التي زادت على ألفٍ ومائتَيْ سؤال وإن كانت قليلة بجانب ما في القرآن الكريم من الغرائب والعجائب التي لا تنقضي ، إلا أنه كما يقول : " قصدتُ اختصار هذا الأنموذج منها ، وتقريبه إلى الأفهام ؛ ليكثر الانتفاع به ولا يُهجَر لدقته وغموضه " (١) وهنا نجده يستدعي المتلقي بالتواصل معه والحرص على انتفاعه بكتابه .

ويصف أبو حيان الأندلسي كتابه **تحفة الأريب بما في كتاب القرآن من الغريب** بالمختصَر ، وجعل مقصوده فيه أن يتكلم على ***غريب القرآن*** ذلك القسم من لغات القرآن الكريم ، وهو قسم لا يعرفه إلاّ مَنْ له اطِّلاعٌ وتبحُّرٌ في اللغة العربية ، وقد صنّف فيه أكثر الناس (٢) واختصاص المتبحر في اللغة بمعرفة غريب القرآن فيه إشارة إلى ارتباط علم الغريب باللغة ، وأنها هي التي تُعين على تحقق المقصود الأعظم من قراءة القرآن الكريم وحفظه .

ولم يُسمِّ أبو حيان كتابه ،أو أنه لم يذكر عنوانه في هذه المقدمة الموجزة ،وإنما عبَّر عنه بأنه المختصر ،وبيَّن في حديثه عن منهجه في الكتاب مظاهر ذلك الاختصار ،فقد رتبه على حروف المعجم حيث الحروف الأصلية للكلمة القرآنية دون أحرفها الزائدة ،ومن مظاهر اختصارِه اقتصارُهُ " على شرح الكلمة الواقعة في القرآن العزيز " (٣) ويبدو أن لهذا الاختصار فائدة ملحوظة وهي أنه لو جاء على إسهاب كتاب المفردات للراغب الأصفهاني ،لأتعب البحثُ فيه كثيرًا (٤) إلى جانب عدم الإشارة إلى الآية

---

١ – الرازي : غرائب أي التنزيل ص ١ .
٢ – أبو حيان : تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب – تحقيق سمير المجذوب – ط١/١٩٨٣م – المكتب الإسلامي – بيروت – ص ٤٠ .
٣ – السابق الموضع نفسه .
٤ – السابق ص ٣٥ من مقدمة المحقِّق .

الكريمة التي وردت بها الكلمة الغريبة ،ولم يُشر كذلك إلى الشواهد ، ولا إلى الآراء المختلفة ، وإذا جاء ببعضها ، فلا ينسبه إلى قائله .

ويبدو أن الغاية من التأليف في غريب القرآن هي" فهم مقاصده وأغراضه " ([1]) لاشتغال أكثر الناس بحفظه ، وجهلهم بمعاني غريبه ، وانصرافهم عنها ، وقد نصّ ***المارديني*** في مقدمته على اسم كتابه " **بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب** " ، ورغم أنه لم ينص في المقدمة على إيجاز كتابه أو اختصاره – كما ورد عند السابقين – إلا أنه قال في سياق منهجه الذي التزمه : " ورأيتُ ترتيبه على السور ، مُقلِّلاً لألفاظه ، ومُسهِّلاً على حفَّاظه " ([2]) .

ويجمع ابن عبد الجبار اليوناني [بين ق٨ – ق٩هـ] في مقدمته – رغم قِصَرها – كل ما يتعلق ببنية الموضوع من عناصر فرعية كالتعريف بالكتاب وذكر اسم المؤلِّف مستخدمًا السرد الغيابي ؛ إذ يتحدث عن نفسه بضمير الغائب : ***هذا كتاب جمعه العبد الستار الراجي للعفو الغفّار حسين بن علي بن عبد الجبار اليوناني*** ، ثم ينتقل إلى ذكر موضوع كتابه ومصادره دون تخصيصٍ أو تعيين لمؤلِّفٍ أو مؤلَّف فيقول : ***في لطائف كلام الله وغرائبه مِنْ كُتُب المفسِّرين وأقوال المحققين*** ، ويتحدث عن منهجه في كتابه والغرض منه ، فيقول : ***وجعلَهُ مرتَّبًا ، ورتَّبَهُ مُبَوَّبًا ؛ ليسهلَ حِفْظُهُ ، ويدنُوَ تناوُلُهُ*** ([3]) .

ثم يحدد ابن عبد الجبار اليوناني المتلقي الخاص لكتابه ، فيقول : ***ولا يتمتع منه إلا حافظٌ أديب ، أو يستحضر لبيب*** ، وفي تحديد هذا المتلقي بتلك الخصوصية يستدعي القيمة الكبيرة للكتاب ولموضوعه في آنٍ معًا ، وكذلك يؤسِّس لأهمية المتلقي النموذجي أو المثالي في التراث العربي ، ثم

---

[1] – المارديني : بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب ص ٢٥ .
[2] – السابق : الموضع نفسه .
[3] – ابن عبد الجبار اليوناني : عجائب الزمان في غرائب القرآن – ٤٠/١ .

يذكر اسم الكتاب مستعينًا بضمير الغائب فيقول : وسمَّاه كتاب ***عجائب الزمان في غرائب القرآن*** ، رغم أنه لم يقصره على غريب القرآن وحده ، وإنما تحدث في جزئه الثاني عن الوجوه والنظائر القرآنية لاشتراكهما في دراسة لغة القرآن ، ثم يختم المقدمة بتقريظ كتابه ، فيقول : ***فهو أزين البستان للعارفين ، وأحسن الجِنان للعالِمين*** ([1]) .

وعدم التصريح بالإيجاز أو الاختصار نجده كذلك عند ابن الهائم في كتابه ***التبيان في تفسير غريب القرآن*** ، فإنه قد بدأ استهلال مقدمته بالتركيب اللغوي الموسوم بفصل الخطاب ***أمّا بعد*** ، ثم تلاه مباشرة بالحمدلة والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه ، وبعد ذلك شرع في تبيين أهمية تعلُّم الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم ؛ لأن هذا التعلُّم للغريب يُعين حافظ القرآن الكريم على " تدبُّر آياته العجيبة ؛ ليرقى بذلك عمن يحفظه كالرقى الشبيهة بالمهمل ، فإنه يَقبُحُ بالمُحصِّل أن يُسأل عن مدلول ما يحفظه فيجهل " ([2]) .

وقد عمد ابن الهائم في مقدمته إلى الكشف عن أصل كتابه وحقيقته ، وذلك من خلال تقريظه لكتاب القلوب للسجستاني ، ذلك الكتاب الذي جعله ابن الهائم أنْفَسَ ما صُنِّفَ في غريب القرآن ، ومن ثمة كان كتاب السجستاني كالمتن لكتاب ابن الهائم الذي جعله حاشية على نزهة القلوب ، وأبان عن سبب تأليفه بما وجده من قصور في نزهة القلوب ، وهو قصور مرتبط بفاعلية التواصل بين الكتاب ومتلقيه ؛ فإنه " يُحوِجُ المستغرب لكلمات سوره إلى كشْف حروف وأوراق كثيرة لا سيما السور الطوال ، وقاصر همّة ذي ملال " ([3]) وهذا القصور كان الدافع إلى تأليفه كتاب التبيان ، وإلى منهجه فيه وتسميته ، قال ابن الهائم : " فرأيتُ أن أجمع ما تفرّق من غريب كل سورة فيما هو كالفصل ، مع زيادة أشياء في بعض المواضع على

---

[1] – السابق الموضع نفسه .
[2] – ابن الهائم : التبيان في تفسير غريب القرآن ص ٤٣ .
[3] – السابق الصفحة نفسها .

الأصل ؛ لتسهُل مُطالعته وتتم فائدته ، فشرعْتُ فيه متوخِّيًا للتسهيل مُجْتَنِبًا للإكثار والتطويل " ([1]) .

واجتناب الإكثار والتطويل يستدعي الاختصار والإيجاز ،خاصة وأنه حاشية على كتاب السجستاني ،وقد ميّز ابن الهائم بين كلامه وما يستدعيه من كتاب السجستاني بالرمز(زه) الرامز إلى الزيادة التي ستدعيها من نزهة القلوب ،أما ما يأتي به لنفسه فإنه كان يضع أمامه الدارة أو الرمز (*) وسمَّاه التبيان في تفسير غريب القرآن ،وهو ما لم نجده إلا عند الماردِيني في بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب .

ومثلما قرّظ ابن الهائم كتاب نزهة القلوب للسجستاني ، فعل كذلك الطريحي في كتابه ***تفسير غريب القرآن الكريم*** ، حيث وصف كتاب ***نُزهة القلوب وفرحة المكروب*** ([2]) للسجستاني بأنه كتاب فائق رائق عجيب ، وكذلك فعل فيما أخذه عليه من قُصُورٍ في ترتيبه ، وخللٍ في تبويبه ، ذلك المأخذ الذي حدا بالطريحي أن يستخير الله تعالى في تغيير ذلك الترتيب على وجه يُرضي ربه عنه ؛ لذلك شرع في ترتيبه على أبواب الحروف الهجائية ، وجعل كل بابٍ على أنواعٍ منها ، وهو ترتيب يُعين على سهولة تناوله وعدم صعوبته على الطالبين والراغبين ([3]) لقراءته والإفادة منه .

وأما عن تسمية الكتاب ، فقد قال الطريحي : " وسميتُه بنزهة الخاطر ، وسرور الناظر ، وتُحفة الحاضر ، ومتاع المسافر ، وإن شئتَ ترجمتَه بربيع الإخوان الموضح لكلمات القرآن "([4]) وتلك تسمية تخالف كل المخالفة العنوان الذي كُتِب على الغلاف ، ولم يُشر محققه من قريب أو

---

[1] – السابق : الموضع نفسه .

[2] – الطريحي : تفسير غريب القرآن الكريم ص ٣٦ ، والتسمية التي ذكرها الطريحي فيها زيادة على اسم كتاب السجستاني ، والزيادة هي : وفرحة المكروب ، فإنه لا يوجد في النسخ المحققة من الكتاب ، ولا في المصادر التي نصَّتْ على اسمه .

[3] – الطريحي : تفسير غريب القرآن الكريم ص ٣٦ .

[4] – السابق الصفحة نفسها .

بعيد إلى اختلاف اسم الكتاب ، وإنما أثبت ما قاله الطريحي ، بل إنه أضاف إليه أسماءَ أُخَر بقوله : " وعُرِفَ بعده بكشف غوامض القرآن ، والغرائب القرآنية ، وتفسير غريب القرآن " (١) ومن ثمة فلعل الكتاب كان من الكتب التي جاءت غُفْلاً من العنوان ، وقام بوضع العنوان المحقق أو أحد النُّساخ بقراءتهم خطبة الكتاب أو مقدمته .

ولم يفصل الأمير الصنعاني بين الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعبارة فصل الخطاب ***أمَّا بعْد*** ، وإنما شرع مباشرة في النصّ على اسم الكتاب ، وترتيبه والغرض منه فقال : " هذا تفسير غريب القرآن مرتَّبٌ ، ألَّفْتُه على حروف المعجم ؛ ليقرب تناوله ، ويسهل حفظه على مَنْ أراد " (٢) وهو عنوان يلتبس مع عنوان ابن قتيبة تفسير غريب القرآن ،أو مع تفسير الطريحي ،وإن زاد هذا الأخير وصف الكريم للقرآن على العنوان والالتباس هذا يثير قضية العنونة في الكتب القديمة ،خاصة إذا لم يكن ثمة تطابق بين النص على العنوان في خطبة الكتاب ،والعنوان على الغلاف .

ورغم أنّ ابن قتيبة لم ينص على اسم كتابه مثلما لم يبدأ بالحمدلة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، إلاّ أنه شرع في ذكر المنهج الذي سيسير عليه في كتابه هذا :افتتاح الكتاب بذكر أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلا ، ثم الشروع في تأويلها . وذكر الألفاظ التي كثر ترددها في القرآن ، دون النظر إلى أولوية السور على بعض ، ثم الانتقال إلى تفسير غريب القرآن (٣) .

ثم تحدث ابن قتيبة عن غرضه من الكتاب وعن عمله فيه ، فهو يختصر ويكمل ، ويوضح ويُجمل ، ولا يستشهد على الألفاظ المبتذلة ، ولا يُكثر من الألفاظ المستعملة ، ولا يحشو كتابه بالنحو أو الحديث أو الأسانيد ، ويترك منكر التأويل ، ومنحول التفسير ، وإن أتى له ببعض الأمثلة ،

---

١ – السابق ص : يب من مقدمة التحقيق .
٢ – الصنعاني : تفسير غريب القرآن ص ٥٠ .
٣ – ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن ص ٣ .

فإنما ليشير إلى ما هو كائن من نماذج المنحول في تفسير القرآن الكريم ، ويختم حديثه عن الكتاب بذكر مصادره التي قصرها على كُتب المفسرين وأهل اللغة ([1]) .

ورغم أن مقدمة ***تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان*** للنيسابوري هي أطول مقدمات كتب الغريب القرآن التي اعتمدناها في بحثنا هذا ، إلا أن المؤلف لم يذكر اسم كتابه أو عنوانه فيها وقد تحدث فيها عن القرآن الكريم مفرقًا بينه وبين كلام المخلوقات ، وتدرُّج القرآن الكريم في تحديه للإنس والجن في أن يأتوا بمثله جملة ، أو عشر سور أو سورة ، ولكنهم طاولوه بالسيوف والحراب دون معارضته بالألسنة ؛ وذلك لعجزهمعن مطاولته ومقارعته ، ومقارعة علمائه الذين انتصبوا له يدرسونه ويتدارسونه في كل عصر ومَصر للخوض في تيار بحاره والكشف عن أستار أسراره ، والفحص عن غرائبه ، والاطلاع على رغائبه نقلا وعقلاً وأخذًا واحتذاءً ، ومن ثمة اختلفت أعمالهم بين الإيجاز والإطناب والإلغاز والاقتصار على حل الألفاظ ([2]) .

وينتقل النيسابوري للكشف عن سبب تأليفه تفسيرَه حيث موقف إخوانه وأخدانه الذين طلبوا منه كتابًا في علم التفسير مشتملاً على المهمات ومبينًا على ما نُقل إليه عن الأثبات من العلماء والصحابة والتابعين ، كما يشير إلى تفسير الفخر الرازي الموسوم بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ممتدحًا صاحب الكتاب ، ومقرِّظًا الكتاب بما فيه من اللطائف والبحوث ما لا يُحصى ، ومع ذلك يأخذ عليه ما فيه " من الزوائد والغُثُوث ما لا يخفى ، فإنه قد بذل مجهوده ، ونثل موجوده ، حتى عسُر كتبه على الطالبين ، وأعوز تحصيله على الراغبين " ([3]) ومع ذلك فقد أفاد منه في مسالك أقدامه وعقود نظامه ، وعدم الإخلال بفرائده ، أو إهمال لطائف المهمات .

---

[1] – السابق ص ٣– ٤ .
[2] – النيسابوري : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان – ١/٤–٥ .
[3] – السابق ١/٦ .

وأما عن منهجه في الكتاب ، فقد أشار النيسابوري من حيث التزامه إيراد لفظ القرآن الكريم أولا مع ترجمته على وجه بديع ، وطريق منيع مشتمل على ابراز المقدرات ، وإظهار المضمرات وتأويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات ، وأشار إلى اجتهاده في تسهيل سبيل الرشاد ؛ " ليكون الكتاب كالبدر في التمام وكالشمس في إفادة الخاص والعام ، من غير تطويل يورث الملام ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام ، فخير الكلام ما قل ودل وحسبك من الزاد ما بلغك المحل " ([1]) .

وعلى هذا النحو وجدنا مؤلفي غريب القرآن الكريم يلتزمون بعد استهلال خطاب المقدمة هذه العناصر : التعريف بالكتاب ، الغرض منه ، منهجه ، تسميته ، على تفاوت بينهم في البدء بعنصر وتأخير غيره ، وتفاوتٍ كذلك في الإسهاب ، أو الإيجاز في الحديث عن تلك العناصر التي ربما اختفى بعضها عند بعض المؤلفين دون غيرهم .

[1] – تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان – السابق ٧/١ .

٣-٢- غريب الحديث :

ولعل هذه البنية أهم البنى المكونة للخطاب المقدماتي لكتب غريب الحديث ؛ لأن الدخول فيها ، هو دخولٌ قد يكون له مابعده بالنسبة إلى متلقي العمل المؤلَّف من حيث أدائها وظيفة تواصلية تُغري المتلقي بمواصة القراء أو عدمها ، وكلما نجح المؤلف في عرض موضوع كتابه عرضًا شائقًا كان المتلقي على تواصل تام ، ليس مع المقدمة فحسب ، وإنما مع الكتاب كاملاً ؛ لذلك وجدنا بنية الموضوع تضم في ثناياها مجموعة من المحاور الدلالية التي تُعين على عملية التواصل ، وهذه المحاور هي : موضوع الكتاب ، سبب الكتابة فيه – سبب التأليف ، اسم المؤلِّف ، اسم الكتاب ، الكتب السابقة في بابه ، ثم رؤية المؤلف ، منهج المؤلف ،على اختلاف في ترتيب هذه المحاور داخل المقدمة .

<u>موضوع الكتاب</u> :

بعد أن انتهى ابن قتيبة من الحمدلة وما استدعته من الدعاء في مقدمته لكتاب غريب الحديث ، عرض مجموعة من الأحاديث النبوية التي تشتمل على ألفاظ منتمية إلى الغريب اللغوي الذي يحتاج إلى التفسير والبيان ثم قال : " وقد كان تعرُّفُ هذا وأشباهه عسيرًا فيما مضى على طلَبِه لِحاجَتِه إلى أن يُسْأل عنه أهل اللغة ، ومَنْ يكملُ منهم ليفسّر غريب الحديث ، وفتق معانيه ، وإظهار غوامضه قليل " ([1]) .

وبذلك يوضح ابن قتيبة موضوع كتابه بأنه تفسير غريب ألفاظ الحديث النبوي ، ذلك التفسير الذي دارت حوله كل مؤلفات غريب الحديث . وقد أشار ابن قتيبة إلى موضوع كتابه في سياق حديثه عن نشأة التأليف في غريب الحديث ، حيث تناول فيه " تفسير الكلمات والعبارات الغريبة الواردة في المتون المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وعن التابعين – وكذلك – إصلاح ما تحرّف أو تصحف من الألفاظ مِنْ قِبَل

[1] – ابن قتيبة : غريب الحديث ١/١٥٠ .

بعض رواة الحديث النبوي ، ويذكر ذلك في أثناء شرحه للأحاديث ، كما ختم الكتاب بإصلاح غلط المحدِّثين " (١) .

وقد تضمن ذكر سبب تأليف غريب ما في الصحيحين للحُميدي وهو تفسير الغريب وشرحه (٢) وأشار الفارسي في مجمع الغرائب ومنبع الرغائب إلى رغبته في عمل كتاب جامع للغرائب ، ومرتب على حروف المعجم تأسِّيًا بابن سلام الهروي ، ويكون مشتملاً على ما أغفله الهروي ، مع ما يضمه إليه الفارسي مِنَ الفوائد والزوائد والأحاديث التي ساعد بُعد الزمن في جعلها غرائب لأهل زمانه (٣) وعمد الزمخشري إلى جمع وترتيب ألفاظ غريب الحديث النبوي وكلماته على حروف المعجم (٤) .

ولقد عرض القاضي عياض في كتابه : **مشارق الأنوار** لأحوال التأليف في علم غريب الحديث خاصة ، وعلوم الحديث عامة ؛ ليتخذ من ذلك مدخلاً إلى موضوع كتابه الذي يبدو أنه لم يقصره على غريب الحديث الذي مثل جانبًا من جوانب موضوع الكتاب ، وإنما وضعه " لتقويم ألفاظٍ وإتقان " (٥) رغم تأكيده على شرح الغريب في الموضع نفسه " ودعت الضرورة عند ذكر ألفاظ المتون وتقويمها إلى شرح غريبها وبيان شيء من معانيها ومفهومها " (٦) .

ولعل هذا الخلط ، أو التناقض هو ما دفع ابن فرحون المالكي [ت ٧٩٩هـ] إلى النص على أنّ " كتاب مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطّأ والبخاري ومسلم ، وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام

---

١ – د/ أحمد عبد الله الباتلي : الإمام الخطَّابي – المحدِّث الفقيه ، والأديب الشاعر – سلسلة أعلام المسلمين٦٣– ط١/١٩٩٦م – دار القلم – دمشق – ص ١٦٨– ١٦٩ .

٢ – الحميدي : تفسير غريب ما في الصحيحين – سابق – ص٣٣ .

٣ – الفارسي مجمع الغرائب ومنبع الرغائب – سابق – ص ٤ من النص المحقق .

٤ – الزمخشري : الفائق في غريب الحديث ١٢/١ .

٥ – القاضي عياض : مشارق الأنوار ٤٠/١ .

٦ – السابق : الموضع نفسه .

والتصحيفات ، وضبط أسماء الرجال ([1]) بيد أنه في حقيقة الأمر أن غريب الحديث هو أحد مقاصد المؤلف من كتابه ، إلى جانب المقاصد الأخرى التي نصَّ عليها القاضي عياض .

وقد عرض ابن الجوزي للأسباب التي حدت بالمؤلفين المسلمين منذ النضر بن شميل ، وحتى أبي عبيد الهروي صاحب كتاب الغريبين إلى الكتابة في غريب الحديث ، ثم حركة التأليف فيه إلى عصره ، وإن تجاهل الحديث كتاب الزمخشري ***الفائق في غريب الحديث*** ، وقد خلص من ذلك كله إلى أن يبذل وُسعَه في جمع جميع ألفاظ غريب الحديث النبوي ، راجيًا أن يستقصي ذلك ولا يشذ عنه مهم ([2]) .

وأما ابن الأثير الجزري ، فقد عرض في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر عرضًا مستفيضًا لأهم محاولات التأليف في غريب الحديث قبله ، وتوقف عند كتاب ***المجموع المغيث في غريبيْ القرآن والحديث*** للأصفهاني [ت ٥٨١هـ] الذي اعتبره متممًا ومكمِّلاً لكتاب الهروي في غريب الحديث ، ، ثم يخلص إلى الحديث عن كتابه هو وموضوعه هو جمع ما في كتابَيْ ابن سلام الهروي ، والأصفهاني من غريب الحديث مجردًا من غريب القرآن ([3]) .

وأما كتاب منال الطالب ، فقد جعل ابن الأثير موضوعه جمعَ الأحاديث والآثار المتنوعة بين الطُّوال والأوساط ، وما كان أكثر ألفاظها من الغريب الذي لا يفهمه العوَامُّ ويصعب إدراك بعضه على كثير من الخواص من أهل العلم ، وقد جعله قسمين ذكر في أولهما أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثانيهما ما ورد عن بعض الصحابة والتابعين – رضي

---

[1] – ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب وبهامشه كتاب نيْل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس سيدي أحمد بن أحمد – ط١/١٢٢٩م – مطبعة السعادة – مصر ١٩٣٢م – ١/١٧٠ .

[2] – ابن الجوزي : غريب الحديث ١/١١ .

[3] – ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٤ .

الله عنهم – من الآثار ([1]) . وقد جعل الإمام التلمساني [ت ٦٢٥هـ] موضوع كتابه الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب اقتضابَ – المراد تلخيص – ما تضمَّنه كتاب **المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار** من غريب الموطَّأ وإعرابه ([2]) أي تبيينه وإيضاحه وقد ورد في ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة [ت٢٣٥هـ] والحاكم [ت٤٠٥هـ] في مستدركه على الصحيحين من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه "([3]) .

سبب التأليف :

يأتي سبب التأليف محورًا من المحاور الدلالية التي يضمها موضوع مقدمة كُتُب غريب الحديث النبوي ، وتحديد سبب التأليف من الأهمية بمكان في موضوع المقدمة ؛ لأنه المُثير لعملية التواصل بين المؤلِّف والمتلقي من ناحية والرابط بين موضوع الكتاب ومنهجه والدراسات السابقة عليه من ناحية ثانية ، هذه الناحية الثانية التي نراها بوضوح عند ابن قتيبة الذي يكشف عن سبب تأليفه لغريب الحديث النبوي حيث قال : " وقد كنتُ زمانًا أرى أن كتاب أبي عُبيد قد جمع تفسير غريب الحديث ، وأن الناظر فيه مُسْتَغْنٍ به ، ثم تعقَّبْتُ ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة ، فوجدتُ ما تركه نحوًا مما ذكر أو أكثر منه ، فتتبّعْتُ ما أغفلَ وفسّرْتُهُ على نحوٍ مما فسَّر " ([4]) وعلى ذلك يكون السبب في تأليف كتابه هو إكمال كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي باستدراك ما فاته وإثبات ما تركه ، والزيادة عليه بما ذكره فيه من

---

[1] – ابن الأثير : منال الطالب في شرح طوال الغرائب ١/٣– ٤ .

[2] – التلمساني : الاقتضاب في غريب المطّأ وإعرابه ٣/١ .

[3] – ابن أبي شيبة : المصنف – تحقيق أبي أسامة بن إبراهيم – ط٢٠٠٨/١م – الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – حدائق شبرا – القاهرة – ٧/١٠ الحديث رقم ٣٠٥١٤، وقد رواه الحاكم في : المستدرك على الصحيحين – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا – ط٢٠٠٢/١م – دار الكتب العلمية – ٧٤٤/٢ – الحديث رقم ٣٦٤٤ وقد علق عليه بقوله : إنه حديث صحيح الإسناد على مذهب أئمتنا ولم يُخرِّجاه .

[4] – ابن قتيبة : غريب الحديث ١٥٠/١ .

قصار أخبار العرب وأمثالهم ، وأحاديث السَّلَف وألفاظهم ، وفي الإشارة إلى كتاب الهروي دلالة على موضوعية ابن قتيبة في التأليف .

ومن هذه الناحية الثانية نرى دافعية الخطابي لتأليف كتابه غريب الحديث ، حيث أفاض في حديثه عن الكتب السابقة عليه خاصة كتاب غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي الذي وصفه الخطابي بأنه صار إمامًا لأهل الحديث به يتذاكرون وإليه يتحاكمون ، وكتاب ابن قتيبة غريب الحديث الذي لم يأل صاحبه فيه جهدًا حتى بلغ شأو سابقه ابن سلام الهروي ([1]) .

وكان الخطابي يظن أنهما لم يتركا شيئًا من ألفاظ غريب الحديث إلا وقد ضمنَّاها كتابيْهما ، بيد أنه تبين له بعد الدرس والفحص وطول التأمل افتقادهما لكثير من ألفاظ غريب الحديث ، قال الخطابي في ذلك : " وبقيتْ بعدهما صُبابةٌ – بقية – للقول فيها مُتَبرَّضٌ – قليل – توليتُ جمعها وتفسيرها " ([2]) وقد تتبّع مظانها ورتبها في كتابه الذي صار قريبًا من كتاب الهروي وكتاب ابن قتيبة .

ولم يعرض الإمام أبو منصور السمعاني [ت – ٤٥٠هـ] لموقفه من الكتب السابقة ، وإنما أشار إلى اشتغال السابقين به وتقديمهم له على غيره من العلوم " ([3]) وعدم عرضه لمؤلفات السابقين إلا بهذا السياق التعميمي يجعلنا نخمن أن دافعه لتأليف مجموعه هو دافع ذاتي خالص ، فهو يقول : " وقد كان يخطر ببالي أن أجمع الكتب المصنفة في هذا الباب ؛ ليكون هذا النوع من العلم مجتمعًا غير مفرّقٍ ، منتظمًا غير منتشر ، فيكون أسهل حفظًا ، وأقرب تحصيلاً " ([4]) .

---

[1] – الخطابي : غريب الحديث ٤٨/١ .
[2] – الخطابي : غريب الحديث ٤٨/١ .
[3] – السمعاني : مجموع غرائب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم – ٢/١ من النص المحقق .
[4] – السابق : الموضع نفسه .

وقد بيَّن الحميْدي السبب الذي حداه إلى تأليفه كتاب **غريب ما في الصحيحين** – البخاري ومسلم – بقوله : " فإنَّا لما فرغنا بعون الله وتأييده إيّانا من كتابنا في الجمع بين الصحيحين الذي اقتصرنا فيه على متون الأخبار بالحفظ والتذكار ، أردنا أن نُفسِّرَه بشرح الغريب الواقع في أثناء الآثار ، فلا يتوقف المستفيد له من مطالعته ، ولا ينقطع بالتفتيش لما أُشْكِلَ عليه في دراسته " (١) ومن ثمة يكون الدافع لتأليفه الكتاب هو استكمال ما بدأه في كتابه السابق وهو الجمع بين الصحيحين ، بيد أن الحميدي يضيف هنا سببًا آخر هو رعاية حال المتلقي – المستفيد – والتواصل ، ليس مع هذا الغريب وحده ، وإنما مع كتابه الأول الجمع بين الصحيحين ؛ لأن تفسير الغريب عنده مرتبط بهذا الكتاب الأول .

كما انتبه ابن إسماعيل الفارسي إلى عملية التواصل والتلقي وأهميتها التي لا يجب أن يتغافل عنها المؤلِّفون ؛ ولذلك أخذ على السابقين عليه – رغم ما بذلوه من جهدٍ ، وما قدموه من فضل في علم غريب الحديث – " أنهم أوردوا الأحاديث مرسلة من غير ترتيب يُسهِّل الوصول على طالبِها ، وإن عنَّ إشْكالٌ أحوجَ إلى تصفُّحِ مجلدات " (٢) ولعل هذا هو الذي حدا به إلى تأليف كتابه ، وقد رتّبه على حروف المعجم تيسيرًا على متلقي كتابه الذي بلغ من الضخامة حدًّا ربما جعله أكبر كتب غريب الحديث حجمًا .

ويبدو أن ما أخذه اللاحقون على السابقين من بعض التقصير في مؤلفاتهم هو الذي حدا باللاحقين إلى التأليف ؛ لعلهم يستدركون ما فات سابقيهم ، فالقاضي عياض يعرض في شيء من الثناء لجهد السلف الصالح من المُحَدِّثين في الحفاظ على السُّنَّة النبوية بجمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في صِحاحهم ومساندهم ، وما أبانوه فيها من مما وقع لبعض الرواة من الوهم والغفلة في الرواية ، حيث " أبانوا – السلف الصالح من المُحَدِّثِين – عِللها ، وقيّدوا مهملها وأقاموا محرّفها ، وعانوا سقيمها ،

---

١ – الحميدي : غريب ما في الصحيحين ص ٣٣ .

٢ – الفارسي : مجمع الغرائب ومنبع الرغائب – ص ٤ من النص المحقق .

وصحّحوا مُصَحَّفَها " ([1]) وتركوا للخلف كل ذلك الجهد الحميد في مصنفاتهم التي اتخذها العالمون قدوة وقِبْلة لمصنفاتهم .

بيد أن عهدهم قد انقضى ، وخلف من بعدهم خلف كلّتْ هِممُهم وفترت رغائبهم ، وكثر تساهلهم وتسامحهم في مصنفاتهم التي غلب عليها " التغير والفساد ، وشمل كثيرًا من المتون والأسناد ، وشاع التحريف ، وذاع التصحيف " ([2]) ومن ثمة وقعت الإشكالات وانتشرت الإهمالات التي دفعت القاضي عياض إلى " أن يشارك في تصحيح الروايات والطرق التي وقع فيها تصحيف أو تحريف أو وهم " ([3]) وثم دافع آخر أشار إليه القاضي عياض عن الأصحاب في مجلس السماع والتفقه الذين سألوه عمل كتاب يجمع شوارد الروايات ويُسدِّد مقاصدها ، ويُبيّن مشكل معناها ، فكان كتابه المشارق ([4]) .

وعندما يتحدث الزمخشري عن سبب تأليف كتاب الفائق في غريب الحديث ، لا ينسى دور السابقين عليه هؤلاء الذين لم يتركوا للمتأخر شيئًا يكتب فيه ؛ لذلك كان وراء تأليفه كتابه الرغبة في لسان الصدق ، وحُسن السيرة ، وجمال الذكْر عند الناس ، والأجر الجزيل عند الله عز وجل ، إلى جانب رعاية حال المتلقي للكتاب بقوله : " فيما يعود لمقتبِسِه بالنُّصْح ، ويرجع إلى الراغبين فيه بالنُّجْح " ([5]) .

وأما ما دفع النيسابوري إلى تأليف كتابه جُمل الغرائب ، فهو تباعُد أطراف علم الحديث وتفاوت ما بين أشواطه الذي ربما أقعد وُرَّادَهُ عن طلبه وأبعد فُرسانه عن غاياتهم ؛ لذلك كان دعاؤه ربَّه أن يوفقه في جمع شتاته

---

[1] – القاضي عياض : مشارق الأنوار – سابق – ٣٢/١ .
[2] – السابق : الموضع نفسه .
[3] – د/ البشير علي الترابي : القاضي عياض وجهوده في علميْ الحديث – رواية ودراية – ط١٩٩٧/١م – دار ابن حزم – بيروت .
[4] – القاضي عياض : مشارق الأنوار ٣٧/١ .
[5] – الزمخشري : الفائق في غريب الحديث ١٢/١ .

وشرح مشكلاته ([1]) وهي دوافع داخلية خاصة بعلم الحديث مما يعني أن النيسابوري لم يتعرض لمؤلفي غريب الحديث السابقين عليه بالقدح في عملهم على نحو ما رأينا من السابقين ، وما رأيناه كذلك من ابن الجوزي الذي عرض لجهود السابقين عليه وأخذ عليهم المآخذ ، حيث أخذ على القاسم بن سلام الهروي ظنَّه أنه بكتابه لم يبق شيء من الغريب بيد أنه أخلّ بأشياء كثيرة ، وكذلك الحال عند ابن قتيبة الذي فاتته أشياء كثيرة ، وكذلك أحمد بي أبي عبيد الهروي صاحب كتاب الغريبين الذي أخل بأشياء كثيرة ليست بالغريبة فلا تحتاج إلى تفسير ([2]) .

وأما ابن الأثير ، فقد أبان عن سبب تأليف كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، وذلك بعدما عرض عرضًا مسهبًا لكل التجارب التي سبقته في غريب الحديث مُقَيِّمًا كلاًّ منها ذاكرًا ما لها وما عليها ، وأقوال الخالف عن السالف ، وقد اعتدَّ ابن الأثير بكتابَيْ : الغريبين للهروي والمجموع المُغيث للمديني ، ومع ذلك يرى أنهما " قد فاتهما الكثير الوافر " ([3]) إلى جانب ما وقف عليه من الغريب الذي ألمَّ به من خلال مطالعته للمجاميع والمسانيد وكتب السنن والغرائب وكتب اللغة ، هذا إلى جانب ما رآه في الكتابيْن السابقين من كلفة ومشقة على المتلقي لما فيهما من الغريب ([4]) وهو ما جعله يعدل عما انتواه من قبل في الاقتصار على الجمع بين الكتابيْن ، حيث أضاف إليهما ما عثر عليه من الغرائب .

وأما سبب تأليفه كتابه منال الطالب في شرح طوال الغرائب ، فقد أشار إليه من خلال تعليقه على كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر حيث قال : " فلا تكاد تجد فيه حديثًا تامًّا وإن قلّ كَلِمُه ، ولا أثرًا مُتَّسِقًا وإن استقلَّ مُنْتظِمُه : أحببتُ أن أستأنف كتابًا مُختَصَرًا أجمع فيه من الأحاديث

---

[1] – النيسابوري : جُمَل الغرائب – ص ٦ من النص المحقق .
[2] – ابن الجوزي : غريب الحديث ١/٢-٣ من النص المحقق .
[3] – ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٠ .
[4] – السابق ١/١٠- ١١ .

والآثار الطوال والأوساط ما أكثر ألفاظه غريب " (١) مما يعني أن كتاب المنال استكمال لما في كتاب النهاية ، أو تصحيح ما بدأه فيه من جمع الأحاديث والألفاظ الغرائب التي عثر عليها من مطالعاته التي أشرنا إليها من قبل .

وثمة سبب آخر كان وراء تأليفه كتاب منال الطالب ، هو رأيه في مسالك المؤلفين السابقين الذين – كما يقول ابن الأثير – : " لم يقتصروا على نوعٍ من طوال الحديث والأثر ، ولكن جمعوا ما رُوِيَ منها طويلاً ، سواء كان غريبه كثيرًا أو قليلاً ، ونحن اخترنا من الطِّوال ما كان أكثر ألفاظه غريبًا على أيِّ حاليْه كان بعيدًا أو قريبًا ؛ توخِّيًا للحفظ والتناجي ، وبلاغًا للآمل والراجي " (٢) علمًا من مطالعة كتابه .

وعندما يؤلف التلمساني كتابه الاقتضاب في غريب الموطَّأ وإعرابه على الأبواب ، يراعي المتلقي – الطالب أو المُريد – فيقول عن سبب تأليفه : " ليكون كالمُعْتَد – المُعَدّ – لطالبه ، وكالمقتضب لمُريده ، فأَعْفيه من مشقّة الطّلب ، وأُخَلِّصُهُ مِنْ عِبْء تصَفُّحِ ما ليس له في تصفُّحِهِ أَرَبٌ " (٣) فأمر التأليف هنا إنما هو التيسير والتسهيل على طلاب الغريب .

اسم الكتاب/ عنوانه :

اهتم بعض المؤلفين في غريب الحديث بذكر اسم الكتاب – العنوان – في ثنايا موضوع المقدمة ؛ لأنه " للكتاب كالاسم للشيء ، به يُعْرَف ، وبفضلِهِ يُتداول " (٤) وهذا الاسم أو العنوان يُعدُّ عتبة نصية بالغة الأهمية في سياقها ؛ لأنها العتبة الأبرز أمام عينَيْ المتلقي وهو ما يتساوق دلاليًّا مع

---

١ – ابن الأثير : منال الطالب في شرح طوال الغرائب ٣/١ .
٢ – الن الأثير : منال الطالب ٤/١ .
٣ – التلمساني : الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب – سابق – ٣/١ من النص المحقق .
٤ – د/ محمد فكري الجزار : العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ١٩٩٨م – ص ١٥ .

الجذر اللغوي عنن في اللسان العربي ، والعنوان كذلك هو العتبة التي تأخذ بيد المتلقي نحو فك شفرات النص المقروء ، لأنها تُحدد له وجهة التفكير ، وتحصر له احتمالات التأويل في سياقات بعينها دون السياقات الأخرى التي قد يستدعيها التأويل ، أو يُنبِّهُ إليها نص العنوان باعتباره " نظامًا سيميائيًّا ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تُغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاولة فكّ شيفرته الرامزة ([1]) .

وفي ضياء هذه الأهمية التي تمثلها بِنية العنوان ندرك لماذا عمد بعض المؤلفين إلى ذكر عنوان كتابهم في المقدمة ، ونسائل الآخرين لِمَ لمْ يذكروا عنوان الكتاب في المقدمة ؟ وإذا بدأنا مع القاسم بن سلام الهروي ، وجدنا مقدمته شديدة الإيجاز شديدة الاقتضاب بحيث إنها لم تتجاوز البسملة والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه ، مما يعني افتقادها للعناصر الأخرى المكونة للمقدمة ، وأما ابن حبيب السليمي ، فإنّ مقدمته ساقطة من الكتاب ، وإذا تجاوزنا ذلك إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، نجده رغم إسهابه وطول مقدمته لا يذكر عنوان الكتاب ، رغم إشارته في غير موضع من المقدمة إلى عناوين بعض كتبه من مثل إصلاح الغلط ، والزوائد في غريب الحديث .

وكذلك لم يرد عنوان الكتاب عند الحربي في غريبه ؛ لسقوط مقدمته وكذلك الحال بالنسبة للسرقسطي الذي جاءت مقدمته مقصورة على البسملة والصلاة على النبي وآله ، وأما الخطابي ، فإنه رغم استفاضته في الحديث عن المؤلفات السابقة عليه في غريب الحديث تعليقه على كل كتابٍ ، ورغم ذكره السبب في تأليف كتابه ، إلا أنه لم يذكر عنوان الكتاب .

وأول المُؤَلِّفين في علم الغريب ذكرًا لعنوان كتابه هو السمعاني [ت ٤٥٠هـ] حيث قال عن ذلك : " وسميته مجموع غرائب الأحاديث ؛ إذ كان

---

[1] – د/بسام قطوس : سيمياء العنوان – ط١/٢٠٠١م– وزارة الثقافة – عَمّان – الأردن – ص ٣٣ .

لأكثرها جامعًا ، وعليها آتيًا " ([1]) هذا ما قاله السمعاني في مقدمته ، بينما شمل غلاف الكتاب هذا العنوان " مجموع غرائب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم " وهو عنوان مفارق لما ذكره المؤلف في ثنايا المقدمة مفارقةً كائنة في تخصيص عنوان الغلاف وتعميم العنوان الداخلي الذي عمّم الأحاديث ولم يخصصها ،فإنّ عمومها قد يستدعي أية أحاديث ، أما عنوان الغلاف ، فقد خصص الدلالة بأنها أحديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد نصّ الفارسي [ت ٥٢٩هـ] على اسمه فقال : " وسميته مجمع الغرائب ، ومنبع الرغائب " وهو عنوان يستدعي أمرين أولهما : العموم الذي يدفع المتلقي إلى إثارة مجموعة من الأسئلة حول هذا العنوان ، فأية غرائب سوف يجمعها الكتاب ؟ وأية رغائب سوف تتبع منه ؟ ولماذا الجمع بقوله مجمع ، وليس الحصر أو العرض أو السرد ، أو الذكر ؟ وثانيهما البنية الإيقاعية التي ينتجها الجناس الناقص : الغرائب ، الرغائب ، كما ينتجها التوحد الوزني بينهما ، ذلك التوحد الذي نجده بين صدر المركبين الإضافيين ، حيث زنة كل منهما مفْعَل إلى جانب التجانس الصوتي فيهما ؛يث اشتراكهما في صوتَيْ الميم والعين ، بينما زنة عجز المركب الإضافي كليهما على وزن فعائل .

وقد قدَّم القاضي عياض [ت ٥٤٤هـ] لعنوان كتابه تقديمًا كاشفًا عن سر التسمية ، أو شارحًا لها ، وذلك قوله : " وقد ألَّفْتُه بحكم الاضطرار والاختيار ، وصنَّفْتُه مُنْتقيَ النُّكَت من خيار الخيار ،وأودعته غرائب الودائع والأسرار ،وأطلعتُهُ شمسًا يُشرقُ شُعاعها في سائر الأقطار ، وحرّرْتُهُ تحريرًا تحار فيه العقول والأفكار ، وقرَّبْتُهُ تقريبًا تتقلَّبُ فيه القلوب والأبصار ، وسمَّيْتُهُ ***بمشارق الأنوار على صِحاح الآثار*** "([2]) فإنَّ في قوله: **وأطلعتُهُ شمسًا يُشرقُ شُعاعها** استدعاءً للمركَّب الإضافي الأول من عنوانه وهو مشارق الأنوار .

---

[1] – السمعاني : مجموع غرائب الأحاديث ٣/١ من النص المحقق .

[2] – القاضي عياض : مشارق الأنوار – سابق – ٤١/١ .

وقد عدَّى الفعل سميتُه بحرف الجر ، وهو عند ابن هشام الأنصاري " من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولَيْن : أولهما مُسرَّح دائمًا ، أيْ مُطلَقٌ مِن حرف الجر ، والثاني تارة مُسرَّحٌ منه وتارة مقيَّدٌ به " (١) وهذا ما يُفسِّر مجيء العنوان مسبوقًا بحرف الجر والتعدية ***الباء*** عند القاضي عياض وعند تلميذه ابن قُرقُول [ت ٥٦٩هـ] الذي قال : " وقد سمَّيْتُه بـ ***مطالع الأنوار على صِحاح الآثار*** " (٢) وهو عنوان لا يختلف عن عنوان أستاذه عياض إلا في صدر المُرَكَّب الإضافي الأول الذي جاء ***مشارق***عند القاضي عياض وهذه الصيغة الجمعية تستدعي طلوع الشمس كل يوم (٣) ، بينما جاء ***مطالع*** عند ابن قُرقُول الذي فصل باء التعدية عن اللصوق بصدر المركب الإضافي .

وإذا كان القاضي عياض ،وتلميذه ابن قُرْقُول قد عدَّيا الفعل سمّى بحرف الجر والتعدية الباء ، فإن الفارسي قد أطلق يد الفعل للتعدية دون الاستعانة بحرف الجر وهو ما وجدناه عند ابن الأثير في كتابيْه: النهاية في غريب الحديث والأثر، منال الطالب في شرح طوال الغرائب حيث جعل الفعل متعدِّيًا بنفسه دون حرف الجر ،وأما التلمساني [ت ٦٢٥هـ] فقد قال عن عنوان كتابه: " وجعلتُه لقارئه إنْ أراد تطريزه يُطرِّزه بهذا الاسم الواقع عليه ***الاقتضاب*** "(٤) وهو بذلك يُشرك المتلقي في التفاعل مع موضوع كتابه بل والمساهمة في إنتاجه .

---

١ – ابن هشام : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ومعه منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب لمحمد محيي الدين عبد الحميد – دار الطلائع – القاهرة ٢٠٠٤م – ص ٣٨١ .

٢ – ابن قرقول : مطالع الأنوار على صِحاح الآثار – سابق – ١٥٩/١ .

٣ – الفيروز آبادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – تحقيق محمد علي النجار – ط١٩٩٦/٣م – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – وزارة الأوقاف – مصر – ٣١١/٣ .

٤ – التلمساني : الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب – ٣/١ من النص المحقق .

منهج التأليف :

تنتمي كتب غريب الحديث النبوي ومؤلفاته إلى قسم المعاجم اللغوية حتى إن بعضهم يُطلق عليها معاجم الغريب ([1]) وهذا الانتماء يحدد الخطوط العريضة للمنهج الذي انتهجه مؤلفو غريب الحديث ، تلك الخطوط التي نقف عليها من خلال نصوص مقدمات كتبهم خاصة ؛ ذلك أن بعضًا من هؤلاء المؤلفين لم يذكروا مناهجهم ، وأسلوب تناولهم لغريب الحديث ، ربما لقِصَر المقدمة من مثل أبي عُبيد القاسم بن سلام الهروي الذي لم تتجاوز مقدمة كتابه البسملة والصلاة على النبي صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه– كما أشرنا من قبل – وكذلك الأمر عند السرقسطي [ت٣٠٢هـ] في كتاب الدلائل في غريب الحديث .

وأما ابن قتيبة ، فإنه قد أبان في مقدمته عن منهجه الذي التزمه في كتابه ، خاصة وأنه كان قد اعتدَّ بكتاب غريب الحديث للقاسم ابن سلام أيَّما اعتداد ، ومع ذلك ، فإنه لم يُثبت في كتابه شيئًا مما ورد عند ابن سلام ، إلا ما استدعاه سياقه مع تنبيهه عليه ، قال :" ولم أعرض لشيءٍمما ذكره أبو عُبيْد ، إلا أحاديث وقع فيها ذلك ، فنبَّهْتُ عليه " ([2]) ثم إنه اعتمد الإسناد لما عرف إسناده من الأحاديث ، وآثر القطع لما لم يعرف إسناده ، ثم أشبع ذلك بذكر الاشتقاق والمصادر والشواهد من الشعر وكلام العرب ، ولم يقصره على الغريب وحده ، وإنما ضمّنه قصار أخبار العرب وأمثالها وأحاديث السلف ([3]) .

ثم بدأ في تفسير غريب حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، بادئًا بالأحاديث التي يُدّعى بها على حملة العلم ، ثم أتبعها أحاديث التابعين ، ومَنْ جاء بعدهم ، ثم ختم الكتاب بذكر أحاديث غير منسوبة سمعها من

---

[1] – مِنْ ذلك كتاب الدكتور السيد الشرقاوي : معاجم غريب الحديث والأثر ، والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو – ط١/٢٠٠١م – مكتبة الخانجي – القاهرة .

[2] – ابن قتيبة : غريب الحديث – سابق – ١٥١/١ .

[3] – ابن قتيبة : غريب الحديث ١٥١/١ .

أصحاب اللغة ، وهو لا يعرف أصحابها ولا طُرُقَها بيد أنها أحاديث " حسنة الألفاظ لِطاف المعاني ، تضعف على الأحاديث التي ختم بها أبو عبيد كتابه أضعافًا " ([1]) .

ولقد أشار الخطابي في مقدمة غريبه إلى ما بذله من جهدٍ وعناية في جمع ألفاظ غريب الحديث الكثيرة التي وقف عليها من كثرة نظره في الحديث النبوي وكتبه ومجالسة أهله ، حتى انتظم له كتاب قريب من كتابَيْ القاسم بن سلام وابن قتيبة اللذين قال عنهما : " ونحوتُ نحوهما في الوضع والترتيب " ([2]) ثم أشار إلى منهجه في ترتيب مادة كتابه الذي لم يرتبه على الأبواب أو المفردات ، ومع ذلك فإنه بدأ أولاً بتفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ثنَّى بأحاديث الصحابة ، ثم أحاديث التابعين ، وقد ألحق بها مقطعات من الحديث ليس لها سَنَدٌ في الرواية ، ولكنها مأخوذة من الموثوقين من أهل العلم والأثبات من أصحاب اللغة ([3]) ثم إنه قد ختم الكتاب بإصلاح ألفاظٍ من الأحاديث المشهورة التي يرويها العوامُّ من النقَلَة ملحونة مُحرّفةً عن قصدها ([4]) .

ولم ينسَ السمعاني [ت٤٥٠هـ] دورالأئمة الأفاضل من فقهاء الأمة في تأليف كتابه ***مجموع غرائب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم*** وتوجُّهه نحو ترتيبه وإيجازه ،حيث جمع فيه ما تفرّق في غيره من غرائب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ،واقتصاره من بيان الغريب في الحديث النبوي على ما تمس الحاجة إليه ،مع عدم الإكثار من الشواهد والنظائر ([5]) .

وأما ترتيبه للمواد اللغوية ، فقد الْتزم فيه حروف التهجي ، معتبرًا في البحث فيه الحرف الأول من الكلمة العربية على أيّ حركة كانت ، بعد

---

[1] – ابن قتيبة : غريب الحديث – السابق ١٥٢/١ .
[2] – الخطابي : غريب الحديث – سابق – ٤٨/١ .
[3] – السابق ٤٨/١– ٤٩ .
[4] – السابق ٤٩/١ .
[5] – السمعاني : مجموع غرائب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم – مقدمة المؤلف ٢/١

أن يكون الحرف أصليًّا غير زائد إلاّ في موضعٍ يشتبه أصله ، إن كان الحديث يشتمل على غريبين أو ثلاثة ، فإن زاد على ذلك أورده في بابٍ مُفْرِدٍ له في آخر الكتاب ، وقد سمّاه ***باب الأحاديث الطوال*** (١) .

ولقد الْتزم الفارسيّ حروف التهجي في كتابه ***مجمع الغرائب ومنبع الرغائب*** حيث قال: " وابتدأت بالهمزة في ابتداء الكلمة مع سائر الحروف، ثم بالباء مع سائر الحروف إلى آخر الثمانية والعشرين "(٢) حرفًا في التهجية العربية ،كما أنه حاول تجنب الإطالة في الكتاب بالاستغناء عن أسباب الإطالة ،فعمد إلى حذف الأسانيد والتطويلات والاستشهاد بالشعر كما تجنّب الإمعان في الحكايات وأطراف الكلام والإطناب في اللغات (٣) .

وقد أظهر الفارسي في منهجه الأمانة العلمية والدقة في النقل عن الآخر ، مع عدم إلغاء شخصيته ودوره كمؤلِّف للكتاب ؛ حيث قال في ذلك : " واجتهدتُ في إيراد ألفاظ الأئمة بأعيانها في تفسير الأحاديث ، إلاّ ما احتجتُ فيه إلى استدراكِ أوِ استنباط معنًى زائد على ما ذكروه مما يُستفادُ نوعه " (٤) .

والاستدراك أو الاستنباط يعني أن السابقين لم يقولوا كل شيء ، وحتى لو قالوا كل شيء فإن ثمة استدراكات يمكن استدراكها على ما تركوه ، ومع ذلك يُحمد لهم فضل السبق والريادة في طرق الموضوعات ، وهذا الزمخشري في كتابه ***الفائق في غريب الحديث*** ، بالرغم من أنه الْتزم فيه التهجية العربية – الألفبائية – حيث " رتب الكلمات الغريبة من الأحاديث والآثار على حروف المعجم مراعيًا الحرف الأول والثاني " (٥) دون الحرف الثالث ، إلا أن شخصيته لم تختفِ وراء ائتمامه بالسابقين عليه ؛ إذ كان "

---

١ – السابق ٣/١ .
٢ – الفارسي : مجمع الرغائب ومنبع الغرائب – سابق – ٥/١ من مقدمة المؤلف .
٣ – السابق : الموضع نفسه .
٤ – السابق : الموضع نفسه .
٥ – د/ أحمد الحوفي : الزمخشري . ط٢/١٩٨٠م . الهيئة العامة للكتاب . ص ٢٦١ .

صاحب قرار يقول ما يراه ، وينتهي إلى ما يجد أنه هو الصحيح والصواب ، إذا لم يُخالف الأصول العامة للأحكام والقواعد الكلية التي جاء بها الذكر الحكيم ، وأكّدتها السُّنَّة المُطهّرة ، وأجمعتْ عليها الأمة " ([1]) .

وقد انتهج القاضي عياض النهج نفسه في ترتيب موادّ كتابه مشارق الأنوار ، حيث رتبها الترتيب الألفبائي ، بادئًا بحرف الألف وخاتمًا بحرف الياء ملتزمًا بالحروف الأصلية دون الزائدة وقد رتب الكلمات من حيث الحرف الثاني والثالث على الترتيب نفسه ، وبدأ في أول كل حرف بالألفاظ الواقعة في المتون ، وقام بضبطها ضبطًا مُتقنًا ؛ حتى لا يلحقها تصحيف ولا إهمال ، كما نبّه على اختلاف الروايات إنْ وُجِدَ ، وحرص على تخصيص باب لذكر أسماء الأماكن ؛ حتى يجنِّب القارئ التصحيف الذي يمكن أن يلحقها ، وقد قسم الحروف إلى فصول ، وذكر في نهاية كل فصل ما وقع لكلمات ذلك الحرف من التصحيف ، ونبه على وجه الصواب فيه ، وقد قام بشرح ألفاظ الغريب وتقويمها وبيان معانيها عندما تستدعي الضرورة ذلك الشرح والبيان ، ولكن دون تقصٍّ ، ودون اتساع إلا عند الحاجة إلى الاتساع والتقصي ([2]) .

وقد حرص ابن الجوزي في كتابه غريب الحديث على رعاية حال المتلقي ، وذلك عندما عمد إلى ترتيب الكتاب على حروف المعجم ، كما عمد إلى المقصود من شرح الكلمة الغريبة دون أن يوغل في التصريف والاشتقاق أو يتَّسع فيهما ؛ تجنبًا للتطويل، وقد علل ذلك بأنَّ " كُتُبَ اللغة أولى بذكر ذلك " ([3]) ورعاية لحال المتلقي – الحافظ – في الآن عيْنِه .

ويأتي ابن الأثير ليسير على النهج نفسه في ترتيب المادة اللغوية لألفاظ الغريب عنده في كتاب النهاية ؛ حيث اقتفى ترتيب أبي عبيد الهروي

---

[1] – د/ رشيد عبد الرحمن العبيدي : الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق – منشورات المجمع العلمي العراقي – بغداد ٢٠٠١م – ص ٣١ .

[2] – القاضي عياض : مشارق الأنوار ٣٩/١ .

[3] – ابن الجوزي : غريب الحديث – سابق – ٤٠/١ .

[ت٤٠١هـ] في كتابه ***الغريبين في القرآن والحديث*** ، وأبي موسى الأصفهاني [ت٥٨١هـ] في كتابه ***المجموع المغيث في غريبيْ القرآن والحديث*** ، قال ابن الأثير : " سلكتُ طريق الكتابيْن في الترتيب الذي اشتملا عليه ، والوضع الذي حوياه من التقفية على حروف المعجم " (١) .

وقد التزم ابن الأثير الحرفين الأول والثاني في ترتيب كلمات غريب الحديث النبوي الشريف ، مع إتباعهما بالحرف الثالث على سياق الحروف ، ولم ينس ابتداء كثير من كلمات الغريب بالأحرف الزائدة ، حيث نبَّه على ذلك بعد إيراد تلك الكلمات في أول الحرف الذي جاءت به حتى وإن كان غير أصلي أو حرفًا زائدًا (٢) وقد راعى ابن الأثير الآخر/ المتلقي أيضًا في الكتاب ، فقد قال عن ذلك : " ونبّهْتُ عند ذكره على زياداته ؛ لئلاّ يراها أحد في غير بابها ، فيظن أني وضعتها فيه للجهل بها ، فلا أُنْسَبُ إلى ذلك ، ولا أكون قد عرَّضْت الواقف عليها للغيبة وسوء الظن " (٣) .

---

١ – ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر – سابق – ١/ ١١ .
٢ – السابق : الموضع نفسه .
٣ – السابق : الموضع نفسه .

٣-٣- الغريبيْن :

وكما كان الحال في كتب غريب القرآن ، وكتب غريب الحديث حول بنية الموضوع التي تضم في ثناياها مجموعة من المحاور الدلالية التي تُعين على عملية التواصل ، وجدنا الأمر كذلك في بنية الموضوع في كتب الغريبيْن التي ضمّت هذه المحاور: سبب الكتابة فيه / سبب التأليف ، موضوع الكتاب ، اسم المؤلِّف ، اسم الكتاب ، الكتب السابقة في بابه ، ثم رؤية المؤلف ، منهج المؤلف ، على اختلاف في ترتيب هذه المحاور ، أو وجود بعضها من عدمه داخل المقدمة .

سبب التأليف :

لقد اهتم مؤلفو الغريبيْن بذكر سبب تأليف كتبهم ؛ لأن هذا السبب يتضمن الإشارة إلى مكانة الكتاب وفائدته ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى سوف يستدعي السببُ الدراسات السابقة وتقييمها ومن ثمة الإشارة إلى موضوع الكتاب ؛ ولأن كتب الغريبين في حقيقتها معاجم لغوية خاصة بالقرآن الكريم والحديث النبوي ، أو بهما معًا – كما هو موضوع بحثنا – كانت اللغة العربية مرتكزًا ، أو واحدًا من المحاور التي يتضمنها خطاب المقدمة ؛ ومن ثم رأينا الهروي يُقدِّم بين يدي سبب تأليف كتابه الغريبيْن : أهمية الحاجة للغة العربية في معرفة غريبَيْ القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، ثم يُشير إلى سبب تأليفه لكتابه وهو عدم وجود كتاب جامعٍ لغريبَيْ القرآن والحديث ، ذلك العدم الذي دفعه لاستخارة ربه تبارك وتعالى في عمل كتابه ؛ تذكرة لنفسه وأثرًا بعد وفاته ([1]) .

ورغم أن الأصفهاني قد أثبت إعجابه بكتاب الهروي ، إلا أنه قد وجد به من القُصُور ما دفعه إلى تأليف كتابه المجموع المغيث ، وقد تمثل هذا القُصُور في عدم اشتماله على كثير من الكلمات الغريبة التي لم يثبتها في كتابه ، وأنه توصل إليها من قراءاته ، ومن عُثُوره على كراسة مجهولة

[1] – الغريبيْن في القرآن والحديث : الهروي ١/٣٤– ٣٥ .

المؤلف – بعد سنة خمسين وأربعمائة للهجرة – مشحونة بما شذ عن الهروي في كتابه من الغرائب ، وذلك ما دفعه إلى تأليف كتابه المجموع المغيث ، إلى جانب سببٍ آخر هو الرغبة في الثواب من دعاء كل مَنْ يستفيد مِنْ كتابه ([1]) .

والأمر عينه نجده عند الفُتّني الذي يتحدث عن علم الحديث وأهميته ومزاياه ،ويمتدح دور العلماء في حل غرائبه وكشف بدائعه وشرح لطائفه ،ثم يوضح سبب تأليف كتابه بأن ثمة قصورًا فيما سبق من المؤلفات في غريب الحديث بسبب فتور هِمَمِ أهل البلاد ،إلى جانب قِصَر الأعمار، ورغبته في أن يكون له كتاب مِنْ قُنية عمره وذخيرة له في مآبه ([2]) .

ويذكر الشيخ الطريحي نعمة اطلاعه على عدد كبير من كتب اللغة العربية كالصحاح للجوهري ، وكتب الغريبيْن للهروي والدر النثير للسيوطي والنهاية لابن الأثير ، وشمس العلوم وفائق اللغة وأساسها والمجمل من أجناسها وغيرها ، وأن اطلاعه على كل تلك الكتب قد حدا به إلى تأليف كتابٍ يُفسِّر فيه غريب الحديث النبوي ([3]) .

موضوع الكتاب :

إن مراجعة الأسباب السابقة إلى التأليف في الغريب تقفنا أمام موضوع الكتاب ، حيث وجدنا كلاً من الفتني الصديقي والشيخ الطريحي يركزان على غريب الحديث في مقدمتيهما ، مما دفع البعض إلى اعتبار كتاب الفتني كتاب غريب حديثٍ وليس من كتب الغريبين ، وحقيقة الأمر على غير ذلك بنص المؤلِّفَيْن نفسيْهما ، فقد ذكر الفتني موضوع كتابه وهو غريب الحديث النبوي بشرحه للصحيحين وجامع الأصول ومشكاة المصابيح وجعل من كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير أصلاً لكتابه ،

---

[1] – المجموع المغيث : المديني الأصفهاني ٣/١-٤ .
[2] – مجمع بحار الأنوار : الفتني الصديقي ٢/١ .
[3] – مجمع البحرين : الشيخ الطريحي ١٣/١ .

بيد أنه يقول :" وأضُمّ إلى ذلك ما في ناظر عين الغريبيْن من الفوائد ، وما عثرتُ عليها من غير تلك الكُتُب من الزوائد ؛ ليكون للطالب في أكثر الأحاديث ومعظمها كافيًا ، بل لحل الفوائد في فنون العلم وغرائب القرآن وافيًا " ([1]) بل نقل محقق الكتاب في مقدمته ما جاء على لسان صديق حسن القنوجي حول كتاب مجمع بحار الأنوار " أن هذا الكتاب المستطاب جامع لغريبَيْ القرآن والحديث ،لا يحتاج واجده إلى كتابٍ آخر في هذا الفن وكأنه شرح للكتب الستة المشهورة بالصحاح " ([2])إلى جانب أن بعض المواد اللغوية للغريب التي ذكرها الفتني في كتابه هي من غريب القرآن الكريم مثل المواد اللغوية : أبب ، وأبد ، وأبر ، وثلاثتها من أول باب الهمزة ([3]) .

وأما الطريحي ، فقد ذكر موضوع كتابه وهو غريب الحديث بيد أنه قال: " ثمّ إني شفَّعْتُه بالغرائب القرآنية والعجائب البرهانية ؛ليتم الغرض من مجموعي الكتاب والسنة ،لمن رام الانتفاع بهما ،ويتحصل المطلوب فيه من كلٍّ منهما "([4]) وأما الهروي فقد أشار إلى اشتمال كتابه على غريبَيْ القرآن الكريم والحديث النبوي ،وسار الأصفهاني على نهجه في المجموع المغيث .

منهج الكتاب :

يتعلق المنهج بالطريق الذي يسلكه المؤلف في عرض مادته العلمية مأخوذ من النهج وهو الطريق البيِّن الواضح ، والمنهاج كالمنهج ([5]) ومن ثمة أمكن تحديد المنهج الذي التزمه مؤلفو الغريبيْن من خلال أقوالهم في خطاب المقدمة ،فقد ذكر الهروي منهجه الذي التزمه في ترتيب كتابه وهو المنهج الألفبائي والحروف المُعجَمة ،وذلك قوله : " نبدأ بالهمزة ،فنُفيض بها على سائر الحروف حرفًا حرفًا ،ونعمل لكل حرفٍ بابًا ،ونفتح كل بابٍ

---

[1] – مجمع بحار الأنوار : الفتني الصديقي ٢/١ .
[2] – مجمع بحار الأنوار : الفتني – مقدمة المحقق ١/ي .
[3] – مجمع بحار الأنوار : الفتني ٦/١-٧ .
[4] – مجمع البحرين : الشيخ الطريحي ١٣/١ .
[5] – لسان العرب لابن منظور ٣٨٣/٢ مادة نهج .

بالحرف الذي يكون آخره الهمزة ، ثم الباء ،ثم التاء ثم الثاء إلى آخر الحروف إلا أنْ لا نجده فنتعداه إلى ما نجده على الترتيب فيه ،ثم نأخذ في كتاب الباء على هذا العمل ،إلى أن ننتهي بالحروف كلها إلى آخرها " (١) ويبدو أنه قد ابتكر هذا المنهج وارتضاه لنفسه ، وسار على منواله من أتى بعده من المؤلفين في الغريب ، ولم ينس الهروي المتلقي لكتابه ؛ إذ جعل له نصيبًا في سبب التأليف ، حيث كان هذا المنهج الذي التزمه الهروي قد راعى فيه المفتِّشَ عن الحرف ؛ فإنه بهذا المنهج سوف يحصل على بغيته من الكتاب " بأهون سعيٍ وأخف طلب " (٢) .

وقد أكّد المديني الأصفهاني متابعته لمنهج أبي عبيد الهروي في الغريبين ، حيث قال : " وخرَّجْتُ كتابي على ترتيب كتاب أبي عبيد سواءً بسواء حذْو النعْلِ بالنعْل في إخراج الكلِم في الباب الذي يليق بظاهر لفظها وإن كان اشتقاقها مخالفًا لها " (٣) وقد التجأ الأصفهاني إلى الحديث النبوي الشريف متناصًّا معه ليؤكد على تقليده لمنهج أبي عبيد الهروي في كتابه الغريبيْن ، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " لتسلكنَّ سُنَنَ مَنْ قبلكم حذو النعل بالنعل ، ولَتأخُذُنّ مثلَ أخْذِهم إنْ شِبرًا فشِبر ، وإنْ ذِرَاعًا فذراع ، وإنْ باعًا فباع ، حتى لوْ دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ دخلْتُمْ فيه " (٤) فقوله صلى الله عليه وسلم : حذو النعل بالنعل " يُضرَبُ مثلاً في تشابه الشيئين ، يُقال : جزاهُ حذو النعل بالنعل ، والقُذّة – الريشة التي تركّب على السهم – بالقذة ، أيْ : بمثل فِعْلِه " (٥) مما يعني أن المديني الأصفهاني لم يترك

---

١ – الغريبيْن في القرآن والحديث : الهروي ٣٥/١ .
٢ – السابق : الموضع نفسه .
٣ – المجموع المغيث : المديني الأصفهاني ٤/١ .
٤ – المستدرك على الصحيحين : النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم – دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ط٢٠٠٢/٢م – دار الكتب العلمية – بيروت – ٢١٩/١ – حديث رقم ٤٤٥ .
٥ – جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري – حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش – ط١٩٨٨/٢م – دار الجيل – بيروت – ٣٨١/١ .

شيئًا في ترتيب أبي عبيد الهروي لكتابه الغريبين في القرآن والحديث ،إلا التزمه وما حاد عنه ،فهو تقليد في ترتيب أبي عبيد الهروي لمادة كتابه الغريبين سواء بسواء .

ومثلما قلّد المديني الأصفهاني أبا عُبيْد الهروي في كتابه الغريبيْن في القرآن والحديث ، قلّد الفُتّني الصديقي في مجمع بحار الأنوار ابنَ الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر ؛ إذ رتَّبَه على حروف المعجم ، ملتزمًا الحرف الأول والثاني من كل كلمة مع إتباعهما الحرف الثالث على سياق الحروف ، كما أنه أثبت الكلمات التي تبدأ بحروف زائدة في باب كل حرف منها مع التنبيه على زيادة الحرف ([1]) ومن ثمة جعل الفُتَّني كتابه مرتبًا على حروف التهجي ؛ ليكون الوصول إلى المعاني سهلاً ؛ لأنه جعل كتاب النهاية لابن الأثير أصلاً لكتابه ([2]) .

وكان الشيخ الطريحي قد قرأ من كتب اللغة الصحاحَ للجوهري ، وأثبت إعجابه في قوله : " ثُمّ إني اخترتُ لترتيبه من الكُتُب الملاح ما أعجبني ترتيبه من كتاب الصِّحاح " ([3]) حيث كان صاحبه الجوهري رائدًا في ترتيب معجمه على نظام التقفية ؛ إذ " عدّ أواخر الألفاظ في ترتيبها على الألف باء ، بدلاً من أوائلها ، فالمعجم ينقسم إلى ٢٨بابًا ، كلّ منها يتناول الألفاظ المتحدة الحرف الأخير ، فبابٌ لما آخره الهمزة ، بعده باب لما آخره الباء ، فباب لما آخره التاء ، فما آخره الثاء فالجيم فالحاء إلى آخر الحروف بترتيبها الذي نعرفه اليوم " ([4]) بيد أن الشيخ الطريحي لم يلتزم هذا المنهج الْتزامًا حرفيًّا ؛ لأنه جعل بابَيْ الهمزة والألف بابًا واحدًا ؛ تسهيلا في التناول ، كما جعل لكل حرفٍ من حروف الهجاء كتابًا ، وجعل لكل كتابٍ

---

[1] – ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر – ١١/١ .
[2] – مجمع بحار الأنوار : الفتني الصديقي – ٢/١ من النص المحقق .
[3] – مجمع البحرين : الطريحي ١٤/١ .
[4] – د/ حسين نصار: المعجم العربي : نشأته وتطوره – دار مصر للطباعة – القاهرة ١٩٨٨م – ٣٨٢/٢ .

منها أبوابًا ([1]) في حين جعل الجوهري الحروف الهجائية أبوابًا ، وجعل لها فصولاً بعدة الحروف نفسها .

العنوان /اسم الكتاب :

اهتم بعض المؤلفين في كتب الغريبَيْن بذكر العنوان – اسم الكتاب – في ثنايا موضوع المقدمة ؛ لأن العنوان " للكتاب كالاسم للشيء ، به يُعْرَف ، وبفضلِهِ يُتداول " ([2]) ولعله سُمِّي بهذا الاسم : العنوان – في قول الكلاعي عن الأصمعي – " أنه سُمِّيَ عنوانًا ؛ لأنه يدلُّ على الكتاب ممنْ هو ، وإلى مَنْ هو " ([3]) وهذا الاسم أو العنوان يُعدُّ عتبة نصية بالغة الأهمية في سياقها ؛ لأنها العتبة الأبرز أمام عينَيْ المتلقي ، وهو ما يتساوق دلاليًّا مع الجذر اللغوي عنن في اللسان العربي وذلك بحسب الموقعية المكانية التي يشغلها من الكتاب ، أو المؤلَّف ، ومن ثمة فإن عنوان الكتاب أو المؤلَّف – بصفة عامة " هو الذي يمنح القارئ الفكرة الأولى عنه ، وهذا الإحساس الأولي على قدر ما يكون جذابًا أو مُبْهرًا للذهن وللعينيْن يترك فيه أثرًا لمدةٍ قد تطول أو تقصر " ([4]) وفي أثناء هذه المدة ندرك – كذلك – أن العنوان هو العتبة التي تأخذ بيد المتلقي نحو فك شفرات النص المقروء ؛ لأنها تُحدد له وجهة التفكير ، وتحصر له احتمالات التأويل في سياقات بعينها دون السياقات الأخرى التي قد يستدعيها التأويل ، أو يُنبِّهُ إليها نص العنوان باعتباره " نظامًا سيميائيًّا ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تُغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاولة فكّ شيفرته الرامزة ([5]) .

---

[1] – مجمع البحرين : السابق الموضع نفسه .

[2] – وسيميوطيقا الاتصال الأدبي : د/ محمد فكري الجزار العنوان– الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ١٩٩٨م – ص ١٥ .

[3] – إحكام صنعة الكلام : الكلاعي – محمد بن عبد الغفور – تحقيق محمد رضوان الداية – دار الثقافة – بيروت ١٩٦٦م – ص ٥٣ .

[4] – المنهج السيميائي : الخلفيات النظرية وآليات التطبيق –جريماص ، كورتيس – ترجمة وتقديم عبد الحميد بورايو – ط١/٢٠١٤م – دار التنوير – الجزائر – ص ٢٩٣ .

[5] – د/بسام قطوس : سيمياء العنوان . ط١/٢٠٠١م– وزارة الثقافة– الأردن . ص٣٣

وربما كانت الأبعاد الدلالية لنص العنوان ذات ثراء ، وأفق متسع إذا كان السياق مفتوحًا ، غير محدود بحدودٍ كالتي نراها مع حقل علمي واحد هو حقل الغريبيْن في القرآن والحديث ، هذا الحقل الذي قلل من إمكانية التفنن في وضع العنوان الملائم للعمل وموضوعه ، أو حتى سرد الأسباب الموصلة إليه ، لأن العنوان في هذه الحالة محكوم بالموضوع مما يجعل حافزه على التوظيف محدودًا بحدود المجال الذي يؤسس له ، ذلك المجال الثلاثي الأطراف : الغريب . القرآن . الحديث ، ولعل الطرف الأول هو الرابطة الفعالة الجامعة بين الطرفين الآخرين ، لتعلق الطرف الأول / الغريب باللغة ، وتشكل الطرفين الآخرين باللغة ، ومن ثمة كانت الدلالات اللغوية لدوالّ العنوان مناط التأويل المرتبط بالوظيفة التعبيرية للعنوان باعتبارها متوجهة نحو المُرْسِل/ المؤلِّف كاشفة عن موقفه مما يتحدث عنه وهو موضوع كتابه ، والانطباع الناتج عن انفعاله به ([1]) ذلك الانفعال الذي تمخضت عنه عملية التواصل ، أو الأخذ والعطاء بين العنوان باعتباره نصًّا " لابد أن يقود خطا القارئ " ([2]) نحو استكناه الدلالات التي يمكن أن ينتجها النص .

ولأن نص العنوان بنية لغوية ، يمكن الوقوف على دلالاتها من خلال الطرح الذي تطرحه بنيتها ، وقد قلنا إن تحديد المجال المعرفي الذي يدور حوله موضوع العنوان ، قد يحد من الدلالات المستنبطة من النص المقروء ، ومع ذلك تظل الدلالات مفتوحة أمام المتلقي ، كالذي نراه في سياقنا ، فالمجال محدد : غريب القرآن والحديث ، ومن ثم نجد العنوانين اللذين تم التصريح عليهما من بين كتب غريبَيْ القرآن والحديث الأربعة – موضوع دراستنا – مرتبطين بالموضوع ، فقد قال المديني الأصفهاني عن

---

[1] – في نظرية العنوان – مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية: د/ خالد حسين حسين دار التكوين – دمشق ٢٠٠٧م – ص ٩٨– ٩٩ .

[2] – روبرت هولب : نظرية التلقي : مقدمة نظرية – ترجمة د/عز الدين إسماعيل – ط١/٢٠٠٠م – المكتبة الأكاديمية – القاهرة – ص ١٤٦

كتابه : " وسمَّيْتُه كتاب المجموع المغيث في غريبَيْ القرآن والحديث " ([1]) وهي تسمية أو عنونة متكئة على دلالتيْ الثبات والحركية الملازمة للأسماء المُكونة لبنية العنوان .

فكلمة المجموع من حيث هي اسم تستدعي الثبات ، ومن حيث الاشتقاق تستدعي الحركية الفعلية لعملية الجمع والترتيب والتنظيم والتبويب للمادة المجموعة من الآيات القرآنية والحديث النبوي ، وكذلك الأمر مع الوصف المنوط بهذا المجموع وهو المغيث التي تنتمي اشتقاقيًّا إلى اسم الفاعل الدال على الثبات والاستمرارية الملازمة للحدث ، ومع ذلك بدلالتها على الغوث تستثيرمن التساؤلات ما قد يكشف عن توجهها الدلالي ، إذ مَن المغيث ؟ ومما يُغيث ؟ ولماذا الإغاثة ؟ أليس ثمة دالة أخرى ؟! بيد أننا قد نُقنَع بالسبب الإيقاعي الماثل في السجع بتوافق النهايات في الحرف الأخير / الثاء وعلى هذا النحو يمكن للمتلقي أن يقف على مجموعة من الدلالات المرنبطة بنص العنوان .

وأما الشيخ الطريحي فقد عنون لكتابه بقوله : " وسمَّيْتُهُ بـ مجمع البحريْن ومطلع النَّيِّرَيْن " ([2]) وهو نص يركز كذلك على القيمة الإيقاعية التي ينتجها السجع في النهايات والتوازن في البنية المكونة لطرفي العنوان ، ثم القيم الدلالية التي تنتجها عملية الجمع وعملية الطلوع ، وارتباطهما بمدلول المثنى على موضوع الكتاب وهو القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، حيث لا يقنع المؤلف بوصفهما البحرين ، وإنما يجعلهما النيّرين استئناسًا بالوصف القرآني للقرآن الكريم ﴿ **وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف ١٥٧] .

كما أننا نلحظ على العناوين الأربعة ، إلى جانب الحرص الإيقاعي سواء في السجع أو في الجناس ، نلحظ ذلك التكثيف والتقطير والإيجاز

---

[1] – المجموع المغيث : المديني الأصفهاني ٤/١ .
[2] – مجمع البحرين ومطلع النيرين : الطريحي ١٤/١ .

الشديد في بنية العنوان ، وقد اتكأ هذا التكثيف على آلية الإيجاز الحذف ، إذ الأصل أنْ يُقال : هذا كتاب الغريبيْن ، أو هذا كتاب المجموع المغيث ، وهكذا مع الكتابيْن الأخيرين ، بيد أن المؤلفين قد عمدوا إلى هذا الحذف ؛ حتى يتم التركيز على المذكور ، فالحذف من ثم للاهتمام بالمذكور .

وربما بدا شيء من الطول – رغم الحذف – على عنوان الكتاب الثالث للفُتَّني الصديقي ؛ ذلك أن العنوان المصدّر على غلاف الكتاب هو : **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار** ، وهو على شيء من الطول ، إذا قارناه بالثلاثة الأخرى ، ومع ذلك ، فهو طول لا يبعث على الملل والسأم ؛ لأنه يشتمل على البنية الإيقاعية التي تُلهي عن مثل هذا الطول ، وهي بنية السجع ، فضلاً عن التصوير التشبيهي للأنوار بالبحار دلالة على السعة والثراء ، وثم أمر مهم هنا وهو النص على اشتمال الكتاب على غريبَيْ القرآن الكريم / التنزيل والحديث النبوي .

الفصل الرابع

بنية الخاتمة

٤-١- غريب القرآن

٤-٢- غريب الحديث

٤-٣- الغريبيْن

مدخل :

بنية الخاتمة :

الخاتمة هي آخر جزء في النص – المقدمة – وقد عُنِيَ بها البلاغيون عنايتهم بالبداية والموضوع وحُسن التخلص إليه ، وكانت يسمونها المقطع ، ويلتمسون حُسْنه ، سواء كان النص من الشعر أو من النثر ، فقد ذكر العسكري أنه " ينبغي أن يكون آخر بيت في قصيدتك أجود بيتٍ فيها ، وأدخل في المعنى الذي قصدتَ إليه ([1]) ليكون ثمة ترابط نصي بين بدء النص وختامه ؛ ولذلك بحث البلاغيون عمّا يحقق جودة الخاتمة أوحسن المقطع ، وذهب العسكري إلى أن " مِنْ حُسْن المقطع جودة الفاصلة ، وحُسْن موقعها وتمكنها في موضعها " ([2]) فلا تكون نافرة أو مجرد تحصيل حاصل ، أو لازمة شكلية يحرص الكتاب على حضورها في مؤلفاتهم ، بل هي جزء أساسي وركن من النص – الكتاب أو المقدمة – وكلما كان الاستهلال على درجة عالية من الجودة ، كانت الخاتمة على الدرجة نفسه .

وقد علل البلاغيون لجودة المقطع أو الخاتمة بما يكشف عن أهمية الإجادة فيه ، يقول ابن أبي الإصبع: " يجب على الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة ؛ فإنها آخر ما يبقى في الأسماع ؛ ولأنها ربما حُفِظَتْ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها " ([3]) وهو ما يستدعي مناسبة الخاتمة لاستهلال المقدمة ولموضوعها كذلك، وهو ما تحقق في كثير من الخواتيم

---

[1] – العسكري : كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر – تحقيق علي محمد البجاوي ، و محمد أبو الفضل إبراهيم – ط١٩٥٢/١م – دار إحياء الكتب العربية – مصطفى البابي الحلبي وشركاه – مصر – ص ٤٤٣ .

[2] – السابق ص ٤٤٥ .

[3] – ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – تقديم وتحقيق د/ حفني محمد شرف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٩٩٥م – ص ٦١٦.

التي تنوعت ما بين لفظ المشيئة والحسبلة والحوقلة والسلام والدعاء، وغير ذلك ([1]) وهي العناصر نفسها المستمدة من الأصول الدينية الإسلامية ، تلك التي حرص عليها الكتاب في استهلالاتهم ، ومن ثمة كانت المقدمة أشبه بدائرة مغلقة بدايتها هي خاتمتها ، ورغم هذا التشابه الشكلي بين استهلال المقدمة وخاتمتها التي اتخذت سمت الدعاء الذي يتخذ مكانة عظيمة في حياة المسلم ؛ إذ روى النعمان بن بشير قول النبي صلى الله عليه وسلم : " **الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَة** " ([2]) إلا أن ثمة تنوعًا وَسَمَ تلك الخواتيم التي وقفنا عليها من كتب غريب القرآن الكريم على النحو التالي :

---

[1] – نبيل خالد رياح أبو علي: نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي ٦٥٦هـ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م – ص ٢٩١– ٢٩٢.

[2] – الترمذي : سنن الترمذي ، حكم على الأحاديث وعلق عليها الشيخ الألباني – بعناية أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان – ط١/١٤١٧هـ – مكتبة المعارف – الرياض – حديث رقم ٣٢٤٧– ص ٧٣٤ .

٤ ـ ١ ـ غريب القرآن

على المستوى الشكلي وجدنا الخاتمة تتنوع بين الإيجاز الذي لا يُخل بالغرض ، حيث قنع صاحب الدعاء بجملة الخاتمة التي لا تزيد على ثلاث كلمات كما عند السجستاني في ***نزهة القلوب*** ، أو أربع كلمات كما عند ابن الجوزي في ***تذكرة الأريب*** ، أو خمس كلمات كما عند ابن الهائم في ***التبيان في تفسير غريب القرآن*** ، والإطناب الذي قد يصل إلى سبع جمل متنوعة الطول كما عند الرازي في ***مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل*** .

أما من حيث المضمون ، فقد وجدنا أدعية مؤلفي كتب غريب القرآن في خاتمة المقدمة تتناول المحاور التالية :

إخلاص العمل لله تعالى :

من علامات قبول العمل ، ومن ثم التوفيق فيه أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى ، لا يشركه فيه أحد ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . أَلاَ لِلهِ الدِّينُ الخَالِصُ** ﴾[الزمر ٢ – ٣] وروى أبو هريرة رضي الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً وَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَه " (١) ولعله من هذا المنطلق وجدنا صاحب تفسير المشكل من غريب القرآن يقول في خاتمة مقدمته : " نفع الله به وجعله لوجهه خالصًا " (٢) وكان من دعاء الإمام الرازي في خاتمة خطاب مقدمته : " وإليه أتضرَّع في أن يجعل علمي وعملي خالِصًا لوجهه الكريم " (٣) .

---

١ – المنذري : مختصر صحيح مسلم – تحقيق الألباني – ط٦/١٩٨٧م – المكتب الإسلامي – بيروت – حديث رقم ٢٠٨٩ – ص ٥٥٥ .

٢ – القيسي : تفسير المشكل من غريب القرآن ص ١٩ .

٣ – الرازي : مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل ص ١ .

التوفيق في العمل :

وهذا الدعاء وجدناه عند أكثر المؤلفين ، وهذا الدعاء من بدهيات الأدعية عند مَن يستهل خطاب مقدمته بالحمدلة والصلاة على النبي وآله وصحبه ؛ لأن هذا الدعاء يصور حقيقة إيمان صاحب المقدمة بالله تعالى وبعمله ، فابن قتيبة يقول : " وإيَّاه نسأل التوفيق للصواب " (١) والسجستاني يقول : " وبالله التوفيق والعون " (٢) وابن الهائم يقول : " وبالله التوفيق إلى سواء الطريق " (٣) وهذا الدعاء بالتوفيق وجدناه – كذلك – عند الراغب الأصفهاني في كتابه : ***مفردات غريب القرآن*** ، والخزرجي في كتابه ***نفس الصباح*** ، والكرماني في كتابه ***غرائب التفسير وعجائب التأويل*** ، والنيسابوري في كتابه ***تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان*** ، والمارديني في كتابه ***بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب*** ، والأمير الصنعاني في ***تفسير غريب القرآن*** .

الدعاء بالنفع :

وقد عمد بعض المؤلفين في دعائه الخاتم للمقدمة إلى رعاية المتلقي والتواصل معه من خلال تخصيص الدعاء بنفع الكتاب لكلِّ مَنْ يريد الانتفاع به ، وذلك لأن الكتاب شأنه شأن الرسالة أو الخطبة ، إنما يُكْتب لكي يقرأه المتلقي ، من مثل فعل مكي بن أبي طالب القيسي (٤) وكذلك فعل أبو حيان الأندلسي الذي قال : " والله ينفع بذلك ويختم لنا بخير هنا وهنالك " (٥) وكذلك فعل ابن قطلوبغا في ***تحفة الأريب بحل ما في القرآن من الغريب*** (٦) .

---

١ – ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن ص ٥ .
٢ – السجستاني : نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز – ص ٣ .
٣ – ابن الهائم : التبيان في تفسير غريب القرآن ص ٤٣ .
٤ – القيسي : تفسير المُشكِل من غريب القرآن ص ١٩ .
٥ – أبو حيان الأندلسي : تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ص ٤٠ .
٦ – ابن قطلوبغا : تحفة الأريب بحل ما في القرآن من الغريب ص ١ .

الحسبنة :

كما عمد بعض المؤلفين إلى ختم المقدمة بالحسبنة حيث العبارة القرآنية الكريمة حسبنا الله ونعم الوكيل ، تلك التي تشير إلى الذلة والمسكنة ، وطلب الكفاية من الله تعالى ، فهو وحده الذي يكفيهم ، وهو سبحانه وتعالى وكيلهم الذي لا يضام من استوكله ، وقد وجدنا المارديني يختم دعاء المقدمة بقوله : " وحسبنا الله ونعم الوكيل " (١) وقال ابن قطلوبغا : " إنه حسبي ونعم الوكيل " (٢) بينما ختم الطريحي مقدمته بقوله : " وهو حسبنا ونعم الوكيل " (٣) .

البنية الأسلوبية لدعاء الخاتمة :

اتخذت البنية للغوية لجملة الدعاء في خاتمة مقدمات كتب غريب القرآن التي اعتمدناها للدراسة الصور التالية :

١ ـ **البدء بالفعل أو ما يعمل عمله :**

يستدعي الدعاء في بنيته اللغوية البدء بالجملة الخبرية في بنيتها السطحية ، بينما تتصرف دلالتها في البنية العميقة إلى الإنشاء المتمركز في الأمر أو النهي حسب سياق الدعاء ، ومن ثمة يكون الأسلوب خبريًّا في اللفظ ، وإنشائيًّا في المعنى ، وقد وردت ثلاث مقدمات جاء الدعاء فيها بادئًا بالفعل ، وهو في ثلاثتها الفعل الماضي الدال على انتهاء الحدث ، فالراغب الأصفهاني يقول : " جعل الله لنا التوفيق رائدًا ، ويكرر الفعل جعل مرتين ، حيث جاء في المرة الثانية : " وجعله لنا من معاون تحصيل الزاد المأمور به في قوله تعالى : ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** ﴾[البقرة ١٩٧] " (٤) والجعل في هذين الموضعين بمعنى التصيير ، وقال ابن عبد الصمد

---

١ – المارديني : بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله من الغريب ص ٢٥ .
٢ – ابن قطلوبغا : تحفة الأريب بحل ما في كتاب الله من الغريب ص ١ .
٣ – الطريحي : تفسير غريب القرآن ص ٣٦ .
٤ – الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٦ .

الخزرجي في نفس الصباح : " جَعَلَنَا الله ممَّنْ وُفِّقَ لِمَا يرْضَاه ، وأمر بخير فعمِل بمقتضاه " ([1]) والجعل هنا بمعنى التسمية ، والمعنى : سمانا الله فيمن وُفِّق لما يرضاه .

والموضع الثالث الذي بُدِئ فيه دعاء خاتمة المقدمة بالفعل هو ما دعا به مكي بن أبي طالب : " نفع الله به وجعله لوجهه خالصًا " ([2]) ، وإلى جانب هذه المواضع الثلاثة التي بُدِئ فيها دعاء الخاتمة بالمركب الفعلي ، هناك موضعان بُدِئا بالمشتقات ، وهما اسما فاعلٍ في الموضعين ، أولهما قول الكرماني : " مستعينًا بالله ومعتمدًا عليه " ([3]) وثانيهما قول الطريحي في تفسيره : " سائلاً منه أن يجعله رضًى له وذخيرة يوم ألقاه " ([4]) وقد جعلناهما في بدء الدعاء رغم وقوعهما موقع الحالية ، مما يعني أن ثما ما يسبقهما ، بيد أنهما قد أُتيَ بهما في موقف الدعاء حيث الأول أسأل الله ، وثانيهما أسأل الله الإعانة ، أو أستعين بالله ، بيد أن المؤلفين آثروا هذه الصيغ الإخبارية تأدبًا وتواضعًا وتذللاً لله تبارك وتعالى .

٢ ـ <u>البدء بالاسم</u> :

وقد بدأت بعض الكتب بالواو العاطفة وبعده لفظ الجلالة الله في أربعة مواضع ، اثنان منها ورد لفظ الجلالة فيهما على الابتداء ، وذلك عند ابن الجوزي في قوله : " والله تعالى الموفّق للصواب " ([5]) وقول أبي حيان الأندلسي : " والله ينفع بذلك " ([6]) ، واثنان أتيا بلفظ الجلالة مسبوقًا بالواو ، ، وكان عامل النصب فيهما الفعل الذكور فيما بعد لفظ الجلالة ، ونرى أن بدء المواضع الأربعة بلفظ الجلالة على اختلاف الرتبة فيها جميعها ، إنما

---

[1] – الخزرجي : نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه ١٦٤/١ .
[2] – مكي بن أبي طالب القيسي : تفسير المشكل من غريب القرآن ص ١٩ .
[3] – الكِرماني : غرائب التفسير وعجائب التأويل ٨٨/١ .
[4] – الطريحي : تفسير غريب القرآن ص ٣٦ .
[5] – ابن الجوزي : تذكرة الأريب في تفسير الغريب ٤٩/١ .
[6] – أبو حيان الأندلسي : تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ص ٤٠ .

هو صورة من صور التأدب مع لفظ الجلالة ، وثمة موضع واحد بدأ بالاسم مسبوقًا بالواو العاطفة ، وليس لفظ الجلالة ، وإنما هو المصدر الدال على الدعاء في بنيته العميقة وذلك قول النيسابوري : " والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان " ([1]) .

وإلى جانب ما سبق وردت خمس مقدمات ابتدأ دعاء الختام فيها بالواو العاطفة ، ثم لفظ الجلالة الله مسبوقًا بحرف الباء الذي تنصرف دلالته إلى الاستعانة ، من ذلك قول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن : " وبالله نستعين ، وإياه نسأل التوفيق للصواب " ([2]) والسجستاني في نزهة القلوب : " وبالله التوفيق والعون " ([3]) والرازي في قوله : " وبالله أستعين وعليه أتوكل وإليه أتضرع في أن يجعل علمي وعملي خالصًا لوجهه الكريم " ([4]) وابن الهائم في قوله : " وبالله التوفيق إلى سواء الطريق " ([5]) وأخيرًا الصنعاني في قوله : " وبالله التوفيق والإعانة إن شاء الله " ([6]) .

---

[1] – النيسابوري : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/ ٧ .
[2] – ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن ص ٥ .
[3] – السجستاني : نزهة القلوب في تفسير القرآن العزيز ص ٣ .
[4] – الرازي : مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل ص ١ .
[5] – ابن الهائم : التبيان في تفسير غريب القرآن ص ٤٣ .
[6] – الصنعاني : تفسير غريب القرآن ص ٥٠ .

٤ ـ ٢ ـ غريب الحديث

اشتملت خواتيم المقدمات على الدعاء ، وقد تنوّعت صيغ الأدعية بين الفعلية والاسمية فمن الفعلية خاتمة ابن قتيبة ؛ إذ بدأها بقوله : " وأسأل الله " [غريب الحديث١٥٢/١] وقد يلجأ المؤلف لغريب الحديث في الخاتمة الفعلية إلى آلية التقديم والتأخير مثل القاضي عياض الذي يُقدِّم الجار والمجرور في قوله : " وإلى الله جل اسمه ألجأ " [مشارق الأنوار ٤١/١] وابن الأثير في منال الطالب : " وبالله أعتضد وأستعين " [٥/١] وقد يتقدّم المفعول به في قول التلمساني : " واللهَ أسأل " [الاقتضاب ٣/١] وفي التقديم تعظيم للمقدَّم وهو الله سبحانه وتعالى ، وإيحاءٌ بأنه سبحانه المقصود بالدعاء .

وأما الصيغ الاسمية ، فقد كانت صاحبة الغلبة ، وتنوعت بنيتها التركيبية بين تعريف المسند والمسند إليه في مثل قول الخطابي : " واللهُ الموفِّق " [غريب الحديث٥٢/١] وهو قول ابن الجوزي [غريب الحديث ٤/١] وتعريف طرفَيْ الإسناد للقصر والتخصيص ؛ إذ لا يوفِّقُ إلا الله سبحانه وتعالى ، وقد يكون القصر بالنفي والاستثناء في قول ابن قُرقُول : " وما توفيقي إلا بالله " [مطالع الأنوار ١٥٩/١] والقصر هنا فيه توكيد للدلالة وتخصيص لها ؛ حيث قصر التوفيق على الله تعالى ، فلا يشاركه فيه أحد وقد يأتي القصر والتوكيد بتقديم المسند على المسند إليه في قول الحُميدي في غريب ما في الصحيحين : " وبالله التوفيق " [ص٣٤] .

وقد يأتي المُسند على صورة الجملة الفعلية في قول السمعاني : " والله يوفقني له " [٣/١] والإخبار بالجملة الفعلية استدعاء للحدث – يوفقني – ورغبة في حدوثه واستمراره وتجدُّدِه ، خاصة مع الفعل المضارع بخلاف الجملة الاسمية التي ينصرف الإخبار بها إلى ثبوت الدلالة .

ارتبطت موقعية الخاتمة في نهاية المقدمة بعد الإشارة أو النص على اسم الكتاب أو عنوانه مثل السمعاني في مجموع غرائب أحاديث النبي

صلى الله عليه وسلم [٣/١ من مقدمة المؤلف] والفارسي في مجمع الغرائب ومنبع الرغائب [٥/١ من مقدمة المؤلف] والقاضي عياض في مشارق الأنوار على صِحاح الآثار [٤١/١] وابن قُرقُول في مطالع الأنوار على صِحاح الآثار [١٥٩/١] وابن الأثير في منال الطالب في شرح طوال الغرائب [٥/١] والتلمساني في كتابه الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب بعد إشارته إلى اسم الكتاب [٣/١] من مقدمة المؤلف .

وأتى موقع الخاتمة بعد الإشارة إلى منهج الكاتب أو عمله في الكتاب مثل الخطاب في كتاب غريب الحديث [٥٢/١] والحميدي في غريب ما في الصحيحين [ص٣٤] والزمخشري في الفائق في غريب الحديث [١٢/١] والنيسابوري في جمل الغرائب [ص٨] وابن الجوزي في غريب الحديث [٤/١ من مقدمة المؤلف] .

ولقد تنوع مضمون الأدعية في تلك الكتب ، حيث شاع من بينها طلب التوفيق من الله تعالى ، وسؤاله سبحانه الرزق بالإخلاص في القول والعمل ، وثم مقدمات عمد أصحابها إلى خطاب الآخر وإشراكه في دعاء الخاتمة مثل الفارسي الذي قال في كتابه مجمع الغرائب ومنبع الرغائب : " وأوصيْتُ إلى كل مَنْ يُطالعه أنْ يقضي حق كلفتي ، وجزاء مشقتي بدعاءٍ صالحٍ يتضمن سؤالَ العفو والمغفرة لي ، وختْمِ العُمْر بالسعادة ؛ فهو الأهم الذي لابد منه ، ولا غنًى بالعبد الضعيف المذنِبِ عنه ، وأن يُصلِح ما يرى فيه من خلل ، أو يُنبِّه على ما يجده مِنْ سهْوٍ أو زلل هو ضرورة الإنسان الذي هو مظنة الغفلة والنسيان " ([1]) .

ومثل الزمخشري الذي قال في كتاب الفائق في غريب الحديث : " فأيّة نفسٍ كريمة ، ونَسَمَةٍ زكية نوَّر الله قلبها بالإيمان والإيقان مرتْ على هذا التبيان والإتقان ، فلا يذهبنّ عليها أنْ تدعوَ لي بأنْ يجعله الله في موازيني ثقلاً ورُجحانًا ، ويُثيبني عليه رَوْحًا وريْحانًا ، والله عزّ سلطانه

[1] – الفارسي : مجمع الغرائب ومنبع الرغائب – سابق – ٥/١ من مقدمة المؤلف .

المرغوب إليه في أن يوزعنا الشكر على طَوْلِه وفضله ، وألاّ نُقْدِم إلا على أعمال الخير خالصةً لوجهه ومن أجله ؛ إنه المُنْعِمُ المنَّان " ([1]) .

وهذا التوجه إلى المتلقي ، أو رعايته بجعله طرفًا رئيسًا في الإبداع والتأليف ، يؤكد على انتباهة تراثنا العربي لدور المتلقي في العملية الإبداعية ، وأن النص المؤَلَّفَ إنْ هو إلا رسالة أطرافها : الباثُّ/ المُرْسِل ، والمستقبِل / المرسَل إليه ، ثم الرسالة نفسها ، وبقدر التواصل بين الأطراف الثلاثة يكون ثراء النص المؤلَّف ، وهو ما حرص عليه كل من الفارسي والزمخشري ، وكذلك كان ابن الأثير في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ، فقد راعى المتلقي ، وسما به عن مجرد التلقي إلى مرحلة التقويم والإصلاح لما يمكن أن يراه من خلل فيما يقرؤه ، وذلك مثلما أوصى الفارسي كلَّ مَنْؤ يُطالع كتابه ، فقد قال ابن الأثير قبل ذكره عنوان الكتاب : " وأنا أسأل مَنْ وقف على كتابي هذا ، ورأى فيه خطأً أوْ خللاً أَنْ يُصلِحَهُ ، ويُنبِّهَ عليه ويوضِّحه ويُشير إليه حائزًا بذلك مني شُكْرًا جميلاً ، ومن الله تعالى أجرًا جزيلا " ([2]) .

[1] – الزمخشري : الفائق في غريب الحديث – سابق – ١٢/١ .
[2] – ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر – سابق – ١١/١

٤ ـ ٣ ـ الغريبيْن :

إلا أن ثمة تنوعًا وَسَمَ تلك الخواتيم التي وقفنا عليها من كتب الغريبَيْن : القرآن الكريم والحديث النبوي على النحو التالي :

اختتم الهرويّ مقدمة كتابه الغريبيْن بقوله : " وبالله عز وجلَّ أستعين ، وعليه أتوكل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل " (١) وتلك أربع جمل تراوحت بين الفعلية والاسمية مناصفة على السوية ، وقد عمد فيها جميعها إلى أسلوب القصر لتوكيد الدلالة ولفت الانتباه للمتقدم في الأوليين الجر والمجرور لتأكيد تعلق الفعل المتأخر وضعًا المقدَّم مكانة بالله عز وجل ، فلا استعانة بغيره سبحانه ، ولا توكُّل على غيره في الجملة الثانية التي سلك فيها القصر نفسه ، وجاءت الجملة الثالثة اسمية متكئة على القصر بتعريف الطرفين للتوكيد ، وأما الرابعة ، فقد عمد فيها إلى أسلوب المدح المحذوف منه مخصوصه للعلم به وهو الله سبحانه وتعالى ، ومن ثمة كانت الجملة الأخيرة قد توسلت بالقصر حيث تقديم المُسنَد / المركب الفعلي **نعم الوكيل** ، على المسنَد إليه المحذوف المتأخر وضعًا والمتقدم رُتبة .

وجاء الأصفهاني بموضعين يصحّ اعتبار كلٍّ منهما خاتمة ،أولهما قوله : " وبالله عز وجلّ أستعين في سائر الأمور ،وعليه أتوكّل ،ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العلي العظيم ،وأسأله التوفيق لما يُحبُّ ويرضى من القول والعمل ،وأستغفره وأتوب إليه مما جرى ويجري من الخطأ والزلل ،وأسأله نفعي وسائر المسلمين به " (٢) وهي البداية نفسها التي بدأ بها الهروي ، مع توسع وزيادة عند الأصفهاني الذي حدد الاستعانة ببقية الأمور في حين قنع الهروي بحذف مدلول الاستعانة للعموم والشمول ، وزاد الأصفهاني الحوقلة بدلالتها على اعترافه بالعجز عن القيام بأي أمرٍ إلا أن يوفقه الله تعالى وييسره له . ولم يقنع الأصفهاني بإظهار العجز ، وإنما أخذ في الدعاء

---

١ – الغريبيْن في القرآن والحديث : الهروي ٣٥/١ .
٢ – المجموع المغيث : المديني الأصفهاني ١٠/١ .

بالتوفيق لما يحبه الله تعالى ويرضاه ، ويستغفره ويتوب إليه وينفع بكتابه المسلمين .

وثانيهما ، أنه بعدما ذكر الخاتمة السابقة استدرك أمرًا على قدر من الأهمية من وجهة نظره هو حيث وعد طلابه بإملائه عليهم ، بيد أنه خاف فوات الأمر بما يعوق من عوائق الزمن ، أو ربما وافته منيته قبل إخراج كتابه ، ومن ثم كان إخراجه أولاً قبل إملائه على طلابه ، وختم هذا الاستذكار ، وذلك الاعتراف بقوله : " وعلى الله عز وجلّ التكلان في الإتمام ، ومنه أستمدُّ المعونة ، وهو الموفِّقُ للصواب ، وهو نعم المولى ونعم النصير " (١) .

وأما الشيخ الطريحي ، فيبدو أنه لم يضع للمقدمة خاتمة ؛ لأن آخر ما جاء بمقدمته هو ذكره تسميته للكتاب – على نحو ما مرّ – بينما ما يمكن أن يكون دعاء للخاتمة هو قوله بعد أن أظهر ما بذله من جهد وكَدّ : " طالبًا فيه رضى ربي ؛ إنه وليي وحسبي " (٢) هذا القول الذي يستدعي في بنيته العميقة الدعاء بأن يرضى الله عنه ، وأن يكفيه ويتولاه .

---

١ – المجموع المغيث : السابق ١١/١ .

٢ – مجمع البحرين : الطريحي ١٤/١ .

الخاتمة

عرضنا في بحثنا هذا لموضوع الخطاب المقدماتي في كتب الغريب : غريب القرآن ، غريب الحديث ، ثم الغريبيْن – القرآن والحديث النبوي– وفي ضياء ما درسناه من الخطاب المقدماتي لهذه العلوم الثلاثة توصلنا إلى النتائج التالية التي نعرضها على ترتيب العلوم الثلاثة :

إذا كانت الأبحاث في الخطاب المقدماتي من الوفرة بمكان ، فإن أحدًا لم يتناول . فيما أعلم بعد البحث والاستقصاء . الخطاب المقدماتي لكتب غريب القرآن ، وكذلك غريب الحديث وكذلك الخطاب المقدماتي لكتب الغريبين ، ومن ثمة كانت لبحثنا هذا الريادة فيه .

لقد انتبه التراث العربي إلى أهمية المقدمة انتباهةً وقف القلقشندي على خلاصتها في استحسانه عدم خُلُوِّ الكلام من المقدمة ، حتى وإن كانت وجيزة ؛ لأن وجودها في الكلام يوفي التأليف حقه ، وكان من مظاهر انتباهة تراثنا العربي لأهمية المقدمة كذلك ما تناوله النقاد والبلاغيون العرب القدامى من براعة الاستهلال وحُسْن المطلع وجودة المقطع في نثر الكلام ونظمه .

وإن المقدمة واحدة من العتبات النصية ، أو النصوص المحيطة بالنص ، تلك النصوص التي يقدم كل واحد منها في نسقه الخطابي مجموعة من الوظائف النصية والسياقية التي برزت مع كل مساحة تشغلها كل عتبة منها في النص .

إن كتب غريب القرآن تمثل فرعًا بِكْرًا من الفروع المرتبطة بالنص القرأني ، خاصة في جانب التفسير ، كما أنها تنتمي إلى العلوم اللغوية ؛ حيث ترتبط بعلم المعاجم اللغوية ، وذلك لارتباطها بدلالات الألفاظ من ناحية المضمون ، وطبيعة المنهج المتبع في ترتيب المواد اللغوية القرآنية – خاصة – وذلك من حيث الشكل .

لم ينفصل مؤلفو غريب القرآن الكريم عن الأسلوب التراثي السابق عليهم في بنية الخطاب المقدماتي ، حيث اشتملت تلك البنية الكلية على

المستويات أو البنى الجزئية الثلاثة : بنية الاستهلال . بنية الموضوع . بنية الخاتمة ، وهي العتبات النصية التي تمثل كل واحدة منها عتبة نصية ، أو نصًّا مُحيطًا ينتج من الوظائف الدلالية والسياقية والتواصلية بما يُسهم في تجسيد أهمية الخطاب المقدماتي لكل الكتب على اختلاف مرجعيتها المضمونية .

ولقد راعى مؤلفو كتب غريب القرآن الكريم في مقدمات كتبهم الأثرَ القرآني في تربية النفوس وتهذيبها ، فلم تخلُ مقدماتهم من الألفاظ والتعابير القرآنية ، كما اشتمل الكثير منها على نصوص بعض آيات القرآن الكريم مما يتناسب وما يديرون حوله موضوع مقدماتهم ، وقد بدا ذلك واضحًا في بنية الاستهلال التي توسلتْ بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك في بنية الختام أو خاتمة المقدمة تلك التي رأينا التجاءهم إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء من خلال البنية الخبرية الدالة على الخضوع والتذلل لله تبارك وتعالى .

أما بنية الموضع ، فقد اشتملت على الغرض من الكتاب واسمه وربما اسم مؤلِّفِه والأسباب الداعية إلى تأليفه ، والمصادر التي استعان بها الكاتب على إنجاز كتابه ، كما اشتملت على المنهج وطريقة التناول التي لجأ إليها المؤلفون ، فقد رتب بعضهم المواد اللغوية ترتيبًا الألف باء على طريقة المعاجم اللغوية ، وبعضهم الآخر التزم ترتيب سور القرآن الكريم .

وأما ما يتعلق بدرسنا للخطاب المقدماتي في كتب غريب الحديث ، فإننا قد توصلنا إلى ما يلي :

جاءت المقدمة في كتب غريب الحديث التي ثبتت فيها المقدمة تقليدية ، حيث التزم المؤلفون العناصر الثلاثة المكونة للمقدمة وهي : بنية الاستهلال – مقدمة المقدمة – بنية الموضوع ، ثم بنية الخاتمة ، بينما جاءت بعض كتب غريب الحديث النبوي غُفْلاً من المقدمة ؛ إما لسقوطها

وضياعها ، وإما أن بعض المؤلفين أراد تسليط الضوء على الموضوع نفسه ، فتجاهل ما اعتبره هوامش تنال من متن النص .

تأثرت بنية الاستهلال بالثقافة الإسلامية القرآنية من حيث الالتزام بالعناصر الأساسية المكونة للاستهلال ، وهي البسملة والحمدلة والصلاة على النبي وآله وصحبه ، واقتداءً بسُنّة النبي صلى الله عليه وسلم في خطبه ورسائله ، وكذا في أحاديثه الشريفة الحاثة على البدء بالبسملة والحمدلة ، وبالقرآن الكريم فيها كلها ، وفي الأمر بالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

تنوعت البنية الأسلوبية للحمدلة ما بين المركب الاسمي والمركب الفعلي ، والأمر نفسه مع البنية الأسلوبية للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد رأينا المفارقة الدلالية بين الصيغة الفعلية والصيغة الاسمية ، من حيث دلالة الأولى على الحدث وما يصحبه من التجدد والاستمرار خاصة في حال الفعل المضارع ، ودلالة الثانية – الاسمية – على الثبوت وما يستدعيه من الاقتران والخصوصية .

حرص مؤلفوا كتب غريب الحديث النبوي على ذكر سبب التأليف في هذا العلم الشريف ، وقد تنوع السبب ما بين قُصورٍ في المؤلفات السابقة في هذا العلم ، أو الرغبة في أن يقدّم المؤلف للقارئ المتلقي كتابًا يُغنيه عن غيره من الكتب بحيث يجمع فيه مادة غريب الحديث جمع استقصاء ، وإن كان لم يصل إلى درجة الكمال باعتراف المؤلفين أنفسهم .

وكذلك الأمر بالنسبة لكتب الغريبين ، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج هي :

شكّل الخطاب المقدماتي لكتب الغريبين عتبة نصية مهمة حيث كشفتْ عن توجهات المؤلفين المسلمين في كتابة مقدمات مؤلفاتهم من حيث البنى المشكلة لهذا الخطاب ، وقد بدا ذلك في بنية الاستهلال التي وجدنا فيها الهروي وهو الرائد في كتب الغريبيْن ينزع نحو تنزيه الله سبحانه وتعالى

، في حين عمد من جاء بعده من مؤلفي الغريبين إلى الاستهلال التقليدي وهو البدء بالحمدلة .

جاءت المقدمات متضمنة التجارب السابقة للكتابة في الموضوع ، سواء كانت هذه الكتابات شاملة الغريبيْن ، أو خاصة بأحدهما ، أو بكل منهما على حِدَة ، باستثناء دراسة الهروي الذي نفى وجود دراسة سابقة في موضوعه – حسب ما كان يتمنى – أما غيره ، فإن كلاً منهم كان يُقيِّم التجارب التي سبقته ، ويقرظها تقريظًا يُعين المتأخر على حتمية التأليف في الموضوع .

لا تنطبق مقولة ذهب الأولين بكل شيء ، أو عدم ترك المتقدم للمتأخر شيئًا يُبدع فيه ، أقول لا تنطبق هذه المقولة على مؤلفي الغريبيْن ؛ لأن كل واحدٍ منهم كان يُشْعِر متلقيه بأن ثمة قصورًا لديه ، مثلما كان لدى السابقين قصورًا في طرق موضوع الكتاب .

تنتمي كتب الغريبين إلى الحقل المعجمي ذلك الانتماء الذي بدا في موضوع الكتب والمنهج الذي الْتزمه المؤلفون في ترتيب المواد اللغوية ، والنظر في بنية الكلمة من حيث أصالة الحروف أو زيادتها ، ومراعاة ذلك في الترتيب .

ولقد تناولت هذه الكتب الأربعة غريبَيْ القرآن والحديث وذلك ما بدا نص المقدمة لكل كتابٍ منها وقد توقفنا قليلاً أمام كتاب مجمع بحار الأنوار للفتني الصديقي ، وأكدنا دوران الكتاب حول الغريبيْن كليهما وليس غريب الحديث وحده ، كما ذكر ذلك بعض المؤلفين .

والله عزو وجل من وراء القصد وهو سبحانه وتعالى حسبنا ونعم الوكيل .

المصادر والمراجع

شبكة
الألوكة

أولاً : كتب غريب القرآن :

الأصفهاني : الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد

١ ـ مفردات ألفاظ القرآن – تحقيق صفوان عدنان داوودي – ط٤/٢٠٠٩م – دار القلم – دمشق .

الجزائري : عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي

٢ ـ الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز – تحقيق محمد شايب شريف و أبو بكر بلقاسم ضيف – ط١/٢٠١٨م – دار الكتب العلمية – بيروت .

ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي

٣ ـ تذكرة الأريب في تفسير الغريب – تحقيق د/ علي حسين البواب – ط١/١٩٨٦م – مكتبة المعارف – الرياض .

أبو حيان الأندلسي : الشيخ أثير الدين

٤ ـ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب – تحقيق سمير المجذوب – ط١/١٩٨٣م – المكتب الإسلامي – بيروت .

الخزرجي : أبو جعفر حمد بن عبد الصمد بن عبد الحق

٥ ـ نَفَس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه – دراسة وتحقيق محمد عز الدين المعيار الإدريسي – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ١٩٩٤م .

الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر

٦ ـ مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل – تحقيق إبراهيم عطوة عوض – ط١/١٩٦١م – مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر .

السجستاني : أبو بكر محمد بن عزيز

٧ ـ غريب القرآن المسمَّى : نزهة القلوب في تفسير القرآن العزيز – عناية لجنة من أفاضل العلماء – مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده – مصر ١٩٦٣م .

الصنعاني : الأمير محمد بن إسماعيل

٨ ـ تفسير غريب القرآن – تحقيق وتعليق وضبط محمد صبحي بن حسن حلاق – ط١/٢٠٠٠م – دار ابن كثير – دمشق .

الطريحي : الشيخ فخر الدين

٩ ـ تفسير غريب القرآن – تحقيق وتعليق ونشر محمد كاظم الطريحي – المطبعة الحيدرية – النجف .

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم

١٠ ـ تأويل مشكل القرآن – شرحه تحقيق السيد أحمد صقر – دار إحياء الكتب العربية – مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٩٥٤م .

١١ ـ تفسير غريب القرآن – تحقيق السيد أحمد صقر – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٨م .

ابن قَطْلُوبُغا : زين الدين الحنفي بن عبد الله

١٢ ـ تحفة الأريب بحل ما في القرآن من الغريب – ماجستير – دراسة وتحقيق – إعداد محمد هاشم محمد عسلية – الجامعة الإسلامية – غزة – كلية الآداب – قسم اللغة العربية ٢٠١٣م .

القيسي : أبو محمد مكي بن أبي طالب

١٣ ـ تفسير المُشْكِل من غريب القرآن – تحقيق د/ علي حسين البواب – مكتبة المعارف – الرياض – السعودية ١٩٨٥م .

الكرماني : محمود بن حمزة

١٤ ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل – تحقيق د/ شمران سركال يونس العجلي – مؤسسة علوم القرآن – بيروت ١٩٨٨م .

الماردِيني : علي بن عثمان

١٥ ـ بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب – تحقيق د/ ضاحي عبد الباقي . دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع . الكويت . د.ت.

ابن المنيِّر : أبو العباس أحمد بن محمد المالكي

١٦ ـ التيسير العجيب في تفسير الغريب – تحقيق سليمان ملا إبراهيم أُوغْلُو – ط١/١٩٩٤م – دار الغرب الإسلامي – بيروت .

المهايمي : علي بن أحمد بن إبراهيم

١٧ ـ تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان وبهامشه نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني – ط٢/١٩٨٣م – عالم الكتب – بيروت – طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٢٩٥هـ .

النيسابوري : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمّي

١٨ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان – ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات – ط١/١٩٩٦م – دار الكتب العلمية – بيروت .

ابن الهائم : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد

١٩ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن – تحقيق د/ ضاحي عبد الباقي محمد – ط١/٢٠٠٣م – دار الغرب الإسلامي – بيروت .

ثانيًا : كتب غريب الحديث :

ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري

٢٠ ـ منال الطالب في شرح طوال الغرائب – تحقيق د/ محمود محمد الطناحي – ط٢/١٩٩٧م – مكتبة الخانجي – القاهرة .

٢١ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر . تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي . ط١/١٩٦٣م . نشر المكتبة الإسلامية . القاهرة .

التلمساني : أبو محمد عبد الحق بن سليمان

٢٢ ـ الاقتضاب في غريب الموطّأ وإعرابه على الأبواب – حققه وقدّم له وعلّق عليه د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين – ط١/٢٠٠١م – مكتبة العبيكان – الرياض .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي

٢٣ ـ غريب الحديث – وثّق أصوله ، وخرّج أحاديثه وعلّق عليه د/ عبد المعطي أمين قلعجي – ط١/٢٠٠٤م – دار الكتب العلمية – بيروت .

الحربي : أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق

٢٤ ـ غريب الحديث – المجلدة الخامسة – تحقيق ودراسة د/ سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد – ط١/١٩٨٥م – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع – جدة .

الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد

٢٥ ـ غريب الحديث – تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي – السعودية – جامعة أم القرى – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

الزمخشري : جار الله محمود بن عمر

٢٦ ـ الفائق في غريب الحديث – تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم – ط٢/١٩٧١م – مكتبة البابي الحلبي – مصر .

السرقسطي : أبو محمد القاسم بن ثابت

٢٧ ـ الدلائل في غريب الحديث – تحقيق د/ محمد بن عبد الله القناص – ط١/٢٠٠١م – مكتبة العبيكان – الرياض – السعودية .

السلمي : عبد الملك بن حبيب الأندلسي

٢٨ ـ تفسير غريب الموطأ – حققه وقدّم له د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين – ط١/٢٠٠١م – مكتبة العبيكان – الرياض – السعودية .

السمعاني : أبو منصور محمد بن عبد الجبار

٢٩ ـ مجموع غرائب أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم – تحقيق محمد بن عبد الرحمن آل سعود – نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٢٨هـ .

عياض : القاضي أبو الفضل عياض بن موسى

٣٠ ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار – حققه وخرّج أحاديثه صالح أحمد الشامي – ط٢/٢٠١٨م – دار القلم – دمشق .

الفارسي : أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل

٣١ ـ مجمع الغرائب ومنبع الرغائب – ماجستير – دراسة وتحقيق من إعداد الطالب عبد الله ناصر بن محمد القرني – من أول الكتاب إلى نهاية باب الثاء – جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية – مكة المكرمة – السعودية ١٩٨٩م .

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم :

٣٢ ـ غريب الحديث . تحقيق د/ عبد الله الجبوري . ط١/١٩٧٧م . مطبعة العاني . بغداد .

ابن قُرْقُول : أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني

٣٣ ـ مطالع الأنوار على صِحاح الآثار – تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث – ط١/٢٠١٢م – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – دولة قطر .

المديني: أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني

٣٤ ـ المجموع المغيث في غريبَيْ القرآن والحديث – تحقيق عبد الكريم العزباوي – ط١/١٩٨٦م – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – جدة – السعودية .

النيسابوري : محمود بن أبي الحسن بن الحسين

٣٥ ـ جُمل الغرائب – تحقيق ودراسة – دكتوراة إعداد خالد الأكوع – جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية – قسم الدراسات العليا – فرع اللغويات – مكة المكرمة .

ثالثًا : كتب الغريبين :

الأصفهاني : أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني

٣٦ ـ المجموع المغيث في غريبَيْ القرآن والحديث –– تحقيق عبد الكريم العزباوي – ط١/١٩٨٦م – مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – جدة – السعودية .

الطريحي : الشيخ فخر الدين

٣٧ ـ مجمع البحرين –– تحقيق أحمد الحسيني – ط١/٢٠٠٧م – مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت .

الفتَّني : محمد طاهر الصديقي

٣٨ ـ مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار –– تقديم الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي – مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند ١٩٦٧م .

الهروي : أبو عُبَيْد أحمد بن محمد – صاحب الأزهري

٣٩ ـ الغريبيْن في القرآن والحديث – الهروي : – تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي – راجعه وقدم له د/ فتحي حجازي – ط١/١٩٩٩م – مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض .

رابعًا : المراجع العربية القديمة :

ابن الأثير : ضياء الدين نصر الله بن محمد

٤٠ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٩٣٩م .

الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد

٤١ ـ تهذيب اللغة – تحقيق عبد العظيم محمود – الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م .

الأنباري : أبو البركات كمال الدين

٤٢ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء – تحقيق د/ إبراهيم السامرائي – ط٣/١٩٨٥م – مكتبة المنار – الأردن

ابن أبي الإصبع: أبو محمد زكي الدين عبد العظيم

٤٣ ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – تقديم وتحقيق د/ حفني محمد شرف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٩٩٥م .

الأنباري : أبو بكر محمد بن القاسم

٤٤ ـ إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ – تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان – مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق ١٩٧١م .

التنوخي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمرو

٤٥ ـ الأقصى القريب في علم البيان . ط١/١٣٢٧هـ . السعادة . مصر

التهانوي : محمد بن علي

٤٦ ـ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم – تقديم وإشراف ومراجعة د/ رفيق العجم – ط١/١٩٩٦م – مكتبة لبنان ناشرون .

ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى

٤٧ ـ مجالس ثعلب – شرح وتحقيق عبد السلام هارون – دار المعارف – مصر ١٩٦٠م .

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر

٤٨ ـ البيان والتبيين – تحقيق وشرح عبد السلام هارون – ط١/١٩٤٢م – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – مصر .

٤٩ ـ الحيوان – تحقيق وشرح عبد السلام هارون – ط٢/١٩٦٥م – مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر .

الجرجاني : علي بن محمد

٥٠ ـ معجم التعريفات – تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي – دار الفضيلة – مصر الجديدة ٢٠٠٤م.

الجوهري: الشيخ إسماعيل بن غنيم

٥١ ـ إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أمّا بعد – تحقيق أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي – ط١/٢٠١١م – المكتبة العصرية – بيروت .

الزجاجي : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق

٥٢ ـ الإيضاح في علل النحو – تحقيق د/ مازن المبارك – ط٣/١٩٧٩م – دار النفائس – بيروت .

الزركشي : الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله

٥٣ ـ البرهان في علوم القرآن – تحقيق أبي الفضل الدمياطي – دار الحديث – القاهرة ٢٠٠٦م .

السيوطي : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن

٥٤ ـ الإتقان في علوم القرآن – تحقيق شعيب الأرنؤوط – ط١/٢٠٠٨م – مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت .

٥٥ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي – حققه أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي – ط٢/١٤١٥هـ – مكتبة الكوثر – الرياض .

٥٦ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها – شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولى ورفيقيه – ط٣/ د.ت – دار التراث – القاهرة .

الشيباني : أبو اليُسر إبراهيم بن محمد

٥٧ ـ الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة – تحقيق ودراسة د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب – دار الطلائع – القاهرة ٢٠٠٥م .

ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد

٥٨ ـ المصنف – تحقيق أبي أسامة بن إبراهيم – ط١/٢٠٠٨م – الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – حدائق شبرا – القاهرة .

الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى

٥٩ ـ أدب الكتَّاب – تصحيح وتعليق محمد بهجة الأثري – المكتبة العربية ببغداد والمطبعة السلفية – مصر ١٣٤١هـ .

العسكري : أبو هلال

٦٠ ـ الأوائل– تحقيق وضبط وتعليق د/ محمد السيد الوكيل ط١/١٩٨٧م دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية – طنطا – مصر .

٦١ ـ كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر – تحقيق علي محمد البجاوي ، و محمد أبو الفضل إبراهيم – ط١/١٩٥٢م – دار إحياء الكتب العربية – مصطفى البابي الحلبي وشركاه – مصر .

ابن عصفور : ابو الحسن علي بن مؤمن

٦٢ ـ شرح جمل الزجاجي – قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه فواز الشعار – ط١/١٩٩٨م – دار الكتب العلمية – بيروت .

الفاكهي: عبد الله بن أحمد

٦٣ ـ شرح كتاب الحدود في النحو – تحقيق د/ المتولي رمضان الدميري – ط٢/١٩٩٣م – مكتبة وهبة – القاهرة .

ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي

٦٤ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب وبهامشه كتاب نيْل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس سيدي أحمد بن أحمد –– ط١/١٢٢٩م – مطبعة السعادة – مصر ١٩٣٢م .

الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب

٦٥ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز –– تحقيق محمد علي النجار – ط٣/١٩٩٦م – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – وزارة الأوقاف – مصر .

القاضي : إسماعيل بن إسحاق [ت ٢٨٢هـ]

٦٦ ـ فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم – تحقيق محمد ناصر الدين الألباني – ط٢/١٩٦٩م – المكتب الإسلامي – دمشق ، بيروت .

القرطاجني : أبو الحسن حازم

٦٧ ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء – تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة – ط٣/١٩٨٦م – دار الغرب الإسلامي – بيروت .

القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر

٦٨ ـ الأسنى في شرح أسماء الله الحُسْنى – ضبط وشرح وتخريج أحاديث وتقديم د/ محمد حسن جبل ورفيقيه – ط١/١٩٩٥م – دار الصحابة للتراث – طنطا – مصر .

٦٩ ـ الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُّنّة وآيِ الفرقان – تحقيق د/عبد الله بن عبد المحسن التركي – ط١/٢٠٠٦م مؤسسة الرسالة – بيروت .

القلقشندي : أبو العباس أحمد

٧٠ ـ صبح الأعشى – المطبعة الأميرية – القاهرة ١٩١٥م .

ابن القيم : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب

٧١ ـ بدائع الفوائد . تحقيق علي بن محمد العمران . إشراف بكر بن عبد العزيز أبو زيد . عالم الفوائد . مجمع الفقه الإسلامي . جدة . د . ت .

الكاتب : علي بن خلف

٧٢ ـ مواد البيان – تحقيق د/ حاتم صالح الضامن – ط١/٢٠٠٣م – دار البشائر – دمشق .

المالقي: أحمد بن عبد النور

٧٣ ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني – تحقيق د/ أحمد محمد الخراط – ط٣/٢٠٠٢م – دار القلم – دمشق .

المغربي : أبو العباس أحمد بن محمد

٧٤ ـ مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح – تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل – دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٣م .

ابن منظور : محمد بن مكرم

٧٥ ـ لسان العرب – دار صادر – بيروت .

النديم : أبو الفرج محمد بن إسحاق

٧٦ ـ الفهرست – قابله على أصوله : أيمن فؤاد سيد – مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن ٢٠٠٩م .

النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف الدين

٧٧ ـ الأذكار من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم – إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة الباز – ط١/١٩٩٧م – مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة .

٧٨ ـ التلخيص شرح الجامع الصحيح للبخاري – تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي – ط١/٢٠٠٨م – دار طيبة – الرياض – السعودية .

النيسابوري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله

٧٩ ـ المستدرك على الصحيحين – تحقيق ودراسة مصطفى عبد القادر عطا – ط١/٢٠٠٢م – دار الكتب العلمية – بيروت .

ابن هشام : أبو عبد الله جمال الدين

٨٠ ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب– ومعه منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب لمحمد محيي الدين عبد الحميد – دار الطلائع – القاهرة ٢٠٠٤م .

اليمني : أبو محمد عبد الله بن أسعد

٨١ ـ الدر النظيم في خواص القرآن العظيم – المكتبة العلامية – الأزهر – مصر ١٣١٥هـ .

خامسًا : المراجع العربية الحديثة :

الإدريسي : يوسف

٨٢ ـ عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر – ط١/٢٠١٥م – الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت .

الباتلي : د/ أحمد عبد الله

٨٣ ـ الإمام الخطَّابي – المحدِّث الفقيه ، والأديب الشاعر – سلسلة أعلام المسلمين٦٣– ط١/١٩٩٦م – دار القلم – دمشق .

بدوي : د/ أحمد أحمد

٨٤ ـ أسس النقد الأدبي عند العرب . نهضة مصر للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٩٦م .

بلال : عبد الرزاق

٨٥ ـ مدخل إلى عتبات النص – دراسة في مقدمات النقد العربي القديم – أفريقيا الشرق – المغرب ٢٠٠٠م

بلعابد : عبد الحق

٨٦ ـ عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص – تقديم د/ سعيد يقطين – ط١/٢٠٠٨م – الدار العربية للعلوم – منشورات الاختلاف – بيروت .

الترابي : د/ البشير علي

٨٧ ـ القاضي عياض وجهوده في علميْ الحديث – رواية ودراية – ط١/١٩٩٧م – دار ابن حزم – بيروت .

الجزار : د/ محمد فكري

٨٨ ـ العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ١٩٩٨م .

الحجمري : عبد الفتاح

٨٩ ـ عتبات النص – البنية والدلالة – ط١/١٩٩٦م – شركة الرابطة – الدار البيضاء .

حسين : د/ خالد حسين

٩٠ ـ في نظرية العنوان – مغامرة تأويلية في شؤون العتبات النصية – دار التكوين – د . ت – سوريا

حليفي : شعيب

٩١ ـ هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل – ط١/٢٠٠٤م – المجلس الأعلى للثقافة – مصر .

حماد : حسن محمد

٩٢ ـ تداخل النصوص في الرواية العربية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م .

حميدة : د/ مصطفى

٩٣ ـ نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية – ط١/١٩٩٧م – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – مصر .

الحوفي : د/ أحمد محمد

٩٤ ـ الزمخشري – ط٢/١٩٨٠م – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الشرقاوي : د/ السيد

٩٥ ـ معاجم غريب الحديث والأثر ، والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو – ط١/٢٠٠١م – مكتبة الخانجي – القاهرة .

الطحان : د/ محمود

٩٦ ـ تيسير مصطلح الحديث – ط١١/٢٠١٠م – مكتبة المعارف – الرياض .

العبيدي : د/ رشيد عبد الرحمن

٩٧ ـ الزمخشري اللغوي وكتابه الفائق – منشورات المجمع العلمي العراقي – بغداد ٢٠٠١م .

عبد الباقي : محمد فؤاد

٩٨ ـ معجم غريب القرآن مستخرجًا من صحيح البخاري – طبعة ١٩٥٠م – مصطفى البابي الحلبي – مصر .

عبد الرحمن: د/ عائشة بنت الشاطئ

٩٩ ـ الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق – دار المعارف – القاهرة ١٩٧١م .

قطوس : د/ بسام

١٠٠ ـ سيمياء العنوان – ط١/٢٠٠١م– وزارة الثقافة – عَمّان – الأردن .

وهبة : مجدي وكامل المهندس

١٠١ ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب . ط٢/١٩٨٤م . مكتبة لبنان .

مطلوب : د/ أحمد

١٠٢ ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ـــ مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٩٨٣م

نصار : د/ حسين

١٠٣ ـ المعجم العربي : نشأته وتطوره – دار مصر للطباعة – القاهرة ١٩٨٨م .

سادسًا : المراجع المترجمة :

١٠٤ ـ جريماص : أ .ج . ، ج . كورتيس :

المنهج السيميائي : الخلفيات النظرية وآليات التطبيق – – ترجمة وتقديم عبد الحميد بورايو – ط١/٢٠١٤م – دار التنوير – الجزائر .

هولب : روبرت :

١٠٥ ـ نظرية التلقي : مقدمة نظرية ـــ ترجمة د/عز الدين إسماعيل – ط١/٢٠٠٠م – المكتبة الأكاديمية – القاهرة .

سابعًا : الدوريات

١٠٦ ـ مجلة كلية الآداب – جامعة بور سعيد – العدد الحادي عشر – يناير ٢٠١٨م .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
مقدمة	٥
الفصل الأول : مداخل تمهيدية	٩
١-١ – غريب القرآن	١١
١-٢- غريب الحديث	١٨
١-٣- الغريبيْن	٢٥
١-٤- الخطاب المقدماتي	٢٧
١-٥- البنية والدلالة	٣١
الفصل الثاني : بنية الاستهلال	٣٣
مدخل	٣٥
٢-١- غريب القرآن	٣٧
٢-٢- غريب الحديث	٥٢
٢-٣- الغريبيْن	٦٩
الفصل الثالث : بنية الموضوع	٧٥
٣-١- غريب القرآن	٧٧
٣-٢- غريب الحديث	٨٦
٣-٣- الغريبيْن	١٠٣
الفصل الرابع : بنية الخاتمة	١١٣
مدخل : بنية الخاتمة	١١٥
٤-١- غريب القرآن	١١٧
٤-٢- غريب الحديث	١٢٢
٤-٣- الغريبين	١٢٥
الخاتمة	١٢٧
المصادر والمراجع	١٣٣
الفهرس	١٥١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حقوق الطبع
محفوظة للمؤلف